

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الخامس	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨	المجلد الثاني

فهرس العدد

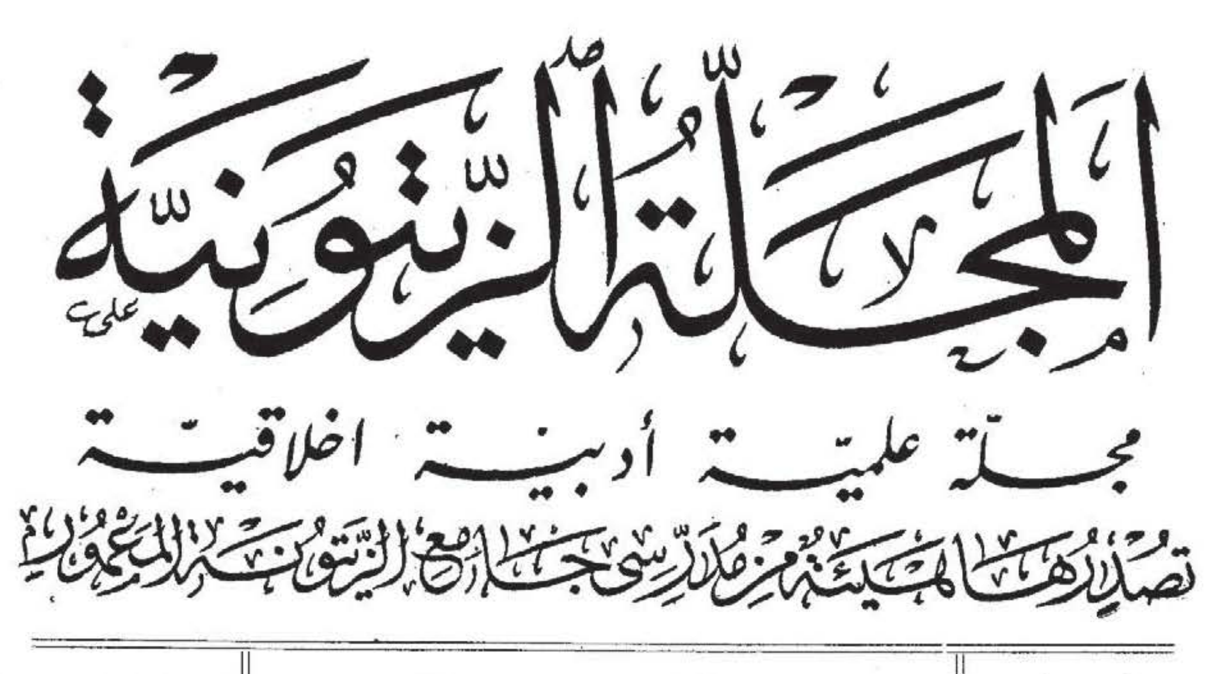
ثمن العدد ثلاثة فرنكات — المطبعة التونسية

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لاتعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزء الخامس	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجاج التونسيون

يساء اليهم في طريق الحج ويكلفون بما لا يطاق ثم يستغيثون ويستنجدون فهل لهم من مغيث وهل لهم منجد

بقلم رئيس التحرير

سافر الحجاج التونسيون في هذا العام يوم الاربعاء ٢٤ قعدة المنصرم (الموافق ليوم ٢٦ جانفي) وعددهم ٣٨١ من مرسى (بنزرت) على ظهر الباخرة (بريطانيا) التي هيئتها شركة تكونت بالجزائر لتنقل عليها حجاج المغرب والجزائر وتونس الى جدة واشرف عليها رئيس هاته الشركة السيد الفضيلي

وكان المتوقع في مثل هذا الوقت ان نقتصر على الاخبار بسفرهم والدعاء لهم بان يجعل الله حجهم مبرورا . وسعيهم مشكورا . وحظهم من العناية الالهية موفورا . وان يسهل الله لهم طريق الاياب متمتعين بالصحة والعافية . والنعم الضافية . فيلتئم بهم شمل عائلاتهم واقاربهم . وتزول عنهم وحشة الفراق . هذا ما كنا نتوقع ان نقتصر عليه ولكن المعاملة السيئة والقساوة الفضيعة التي عومل بها حجاجنا الكرام في هذا العام تركتنا ننتقل من الدعاء الى الاحتجاج ومن التهنية الى الاستغاثة . اذ لم يمض على سفر الحجاج الا ايام قليلة حتى راجت عدة اشاعات في البلاد استفدنا منها ان الحجاج التونسيين قد وقعت معاملتهم من طرف مستاجر الباخرة بغاية القسوة والفضاعة رغما عن الاموال الباهضة التي دفعوها اجرة للركوب . ثم بعد ايام تايدت هاته الاشاعة بالكتاب المفتوح الذي وجهه الحجاج من (بورت سعيد) بتاريخ ٣٠ جانفي الى صاحب الجلالة ملكنا المعظم يبثون اليه ما وقع لهم من الاضطهاد ويستنجدون به لانقاذهم من الشر المستطير الذي حل بهم . (وقد نشر هذا المكتوب بجريدة النهضة في عددها المؤرخ بيوم الثلاثاء ٧ حجة والموافق ليوم ٨ فيفري الجارين) كما ارسل بعض الحجاج من بورت سعيد مكاتبة لبعض الجرائد تذمر فيها من اضطهادات مالية فرضت على الحجاج قهرا ولم تكن لهم على بال .

وتتلخص انواع التعديات التي وقعت على الحجاج فيما ياتي :

١ — عند ما ركب الحجاج الباخرة من مرسى بنزرت وجدوها قد ملئت بالحجاج القادمين من

المغرب ومن الجزائر فلم يجدوا الاماكن اللائقة بهم ولم يلتفت المكلف بالباخرة اليهم ولم يهتم بهم . حتى انهم بقوا على ظهر الباخرة كامل اليوم وطول الليل وهم يعانون ـ شيوخا ونساء واطفالا ـ الم البرد الشديد .

٢ – وزيادة على عدم تمكينهم من بقاع في الباخرة فقد حرموا من الطعام رغما عن كونه داخلا في معلوم الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل

٣ – ولم يقع هذا الخلل مع ركاب الرتبة الثالثة والرابعة فقط بل وقع حتى مع ركاب الرتبة الاولى الذين ما دفعوا الاجر مضاعفا الا طلبا للراحة . فاذا بهم لا يجدون اي امتياز بل لم يجد بقاعا ينامون فيها

٤ – ثم لم يكتف مستاجر الباخرة بهذا كله بل اراد ان يتمادى على ارهاق الحجاج المساكين فقبل وصول الباخرة الى (بورت سعيد) طلب من جميع الحجاج ان يسلموا له جوازات سفرهم وبعد ما تسلمها طالب كل واحد منهم بستمائة فرنك بعنوان معلوم المرور من ذلك المضيق . فنشأ عن ذلك اضطراب كبير للحجاج لان جميع مصاريف التنقل داخلة في اجرة الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل . وعليه فلماذا يطالبون بهذا الاداء الجديد . ويدفعونه عن يد وهم صاغرون

وما علم الناس بهذه التعديات المتكررة الواقعة على الحجاج حتى حصل في البلاد استياء شديد وقلق عام . واخذ كل واحد يفكر في حالة قريبه وما يعانيه من هاته التعديات الفاحشة زيادة عما يقاسيه من عناء السفر . وقد حرر اولياء الحجاج عريضة دفعوها لصاحب الجلالة ملكنا المعظم وتقدم وفد منهم في موكب رابع العيد وبسط له القضية من جديد . وألفت نظره العالي الى حالة الحجاج من رعيته وكيف يعاملون اسوء معاملة . وهم المنضوون تحت رايته . والعائشون في كنف رعايته

وقد نظر جلالته في هاته القضية بغاية الاهتمام . واذن باجراء بحث حول هاته الاشاعات . حتى يقع الانتصاف لهؤلاء الحجاج المساكين الذين وقعت اذايتهم في سبيل الله . وقد بلغنا ان الحكومة التونسية طلبت من الحكومة الجزائرية بصفة رسمية اجراء (بحث قانوني) وموافاتها بنتيجته في اقرب وقت .

ونحن نتعجب غاية العجب من هاته الحالة السيئة ومن هذا الارهاق والاعنات الذين يعامل بهما الحجاج التونسيون – لا في هذا العام فقط بل في كل عام – فكانهم لا ولي لهم ولا نصير . وكانهم ليست لهم حكومة تغار عليهم وتذود عن حماهم وتدفع يد العدوان عنهم . ففي كل عام يساء اليهم وتنتهك حرماتهم ثم يعلو الضجيج فنظن ان الحكومة ستتلافى ذلك الخلل في العام المقبل . فاذا جاء العام المقبل تجددت الحالة بافظع مما كانت عليه وهكذا . ونرى ان السبب في ذلك عدة امور يجب تداركها حتى لا تقع اعادتها في المستقبل . بحول الله

منها جعل الحج بيد فرد او افراد يتاجرون به كما يتاجرون بسائر البضائع ويرتكبون في ذلك كل انواع التحيلات ، مع ان الواجب يقتضي ان يكون الحج حرا بان يسافر الناس احرارا على بواخر البريد من غير ادنى كلفة ولا مشقة ، كما يقع السفر لسائر بقاع الارض . واذا كان من اللازم ان يذهب الحجاج قافلة واحدة فليكن ذلك تحت مراقبة الحكومة التونسية وعلى نظرها مباشرة ، من غير ان يكون امر الحج مجالا للتجارة الفاجرة ، وسوقا للارباح على كاهل افراد عاجزين عن المدافعة عن انفسهم ليتمتع بها رجال لا يخافون الله ولا يقرؤون للآخرة حسابا .

ومنها عدم جعل رئيس للحجاج التونسيين . فالمتعارف من قديم الزمان ان الدولة ترسل مع الحجاج نائبا عنها يكون كرئيس لهم يدافع عن مصالحهم ويخاطبونه في جميع شئونهم ، ويدفع عنهم كل ما يراد الحاقه بهم من المضار سواء على ظهر الباخرة او في البر ، ويلقبُ بشيخ الركب وهذا ما كان معمولا به في تونس ، ثم من منذ اعوام قريبة ابطل ذلك وصار الحجاج التونسيون يسافرون وليس معهم شخص يدافع عنهم ويجلب الخير اليهم ، ولو كان مع الحجاج في هذا العام مندوب عن الحكومة يرجع امرهم اليه لما أمكن لمستأجر الباخرة ان يزدري بهم هذا الازدراء الفاحش ولصده عن العبث بحقوقهم الشرعية ، وكرامتهم الانسانية ، حتى انهم لما حرروا برقيتين على ظهر الباخرة يوم ٢٧ جانفي في الاحتجاج على ما عوملوا به من الفظاعة والفضاضة احداهما موجهة لجلالة الملك والاخرى موجهة لجناب المقيم العام ودفعوا عليهما المصروف اللازم وهو فرنكات ٢٠»٣٠١ منعوا من ذلك وتعلل المكلف بالبريد عن عدم ارسالهما بان مندوب حكومة الجزائر اذنه بعدم الارسال ، فاي دخل لمندوب حكومة الجزائر في منع التونسيين من التشكي لجلالة اميرهم ، أليس السبب في ذلك عدم وجود رئيس للركب التونسي يدافع عنه بصفة رسمية ويمكنه من جميع حقوقه الشرعية

ومن اسباب الخلل جمع الحجاج المغاربة والجزائريين والتونسيين في باخرة واحدة ، تكون القافلة الاخيرة التي تحملها هم الحجاج التونسيون بعد ان تكون قد امتلات بغيرهم فلا يجد بها الحجاج التونسيون البقاع التي كان من الواجب ان تعد لهم ، وهذا من الخلل الذي سببه سوء الادارة وفساد التنظيم وعدم الاهتمام والا فمن الواجب ان تقسم الباخرة على حجاج الاقطار الثلاثة بصورة محكمة بحيث يخصص لحجاج كل قطر قسم منها بالنسبة لمختلف الرتب حتى اذا جاء حجاج ذلك القطر وجدوا بقاعهم محفوظة لهم لم يقع التعدي عليها ،

وقد حكى لنا رجل فاضل ذهب لتوديع صديق له وطلع معه الى الباخرة ، وكان هذا الصديق حجز موضعا له في الرتبة الاولى فلما طلب من المكلف بالباخرة تمكينه من موضعه اجابه بانتهاء بقاع الرتبة الاولى وامره بالنوم على سطح الباخرة

على ان هناك امرا افظع من ذلك كله والعجيب اننا لم نر في الصحافة اليومية والاسبوعية حديثا

عنه . وهو ما وقع لحامل الصرة المندوب عن جلالة الملك : فقد بلغنا ان هذا المندوب لما صعد الى الباخرة وطلب الموضع المخصص له اجابه المكلف بعدم وجود موضع له فاحتج على ذلك وصادف ان هناك بيتا بالرتبة الاولى اعدت لنائب الشركة بتونس وحيث قد تأخر هذا النائب فقد ظنوه عدل عن السفر فاعطوا بيته لمندوب الملك ولكن بعد حصة وجيزة حضر صاحب البيت واراد حيازته . فحاول نائب الشركة من مندوب جلالة الملك ان يخرج ليقع تسليم البيت لصاحبه فامتنع المندوب من ذلك والتف حوله من كان حاضرا من بعض متوظفي الدولة فابقاه في البيت الذي سلموه اليه وانحل الاشكال

هكذا بلغتنا هاته الحادثة وهي تدل على تهاون كبير من المكلف بالباخرة والا فكيف يعقل ان مندوب جلالة الملك لا يهيأ له موضع من قبل .

فهذه الاخلال كلها ليس لها من سبب الا جعل امر الحج منوطا بعهدة افراد يتاجرون به ويتخذونه مغنما لسلب الاموال الطائلة من الناس الاتقياء الذين يقصدون الى عمل قد نهى الله تعلى عن الرفث والفسوق فيه .

ولولا هذا الخلل الناشىء عن سوء الادارة لكان اجتماع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة من اهم ما نرغب فيه لانه يفضي الى تعارفهم وتقوية اواصر الوداد بينهم، ولكنه لما كان ذريعة الى هذه الاضطرابات المتنوعة نطلب ان يجعل لحجاج كل قطر باخرة خاصة بهم . او تتخذ طريقة عادلة في حفظ بقاع كل فريق منهم على الطريقة التي يقع بها السفر للاقطار الاوروبية المبنية على احكم الاساليب واضبطها . حتى ان رجلا من تونس لو اراد السفر الى اميريكا في يوم ١٥ رجب المقبل فانه يمكنه ان يذهب اليوم الى شركة (كوك) مثلا ويطلب منها حجز موضع في الباخرة (نورماندي) لذلك اليوم في الرتبة التي يريدها . فتعطيه عدد الموضع المخصص له فاذا خرج من تونس يوم ١٢ رجب ووصل الى (الهافر) يوم ١٥ رجب صعد الى الباخرة ووجد الموضع الذي خصص له من قبل بثمانية اشهر فمن الواجب اذا اريد الاصرار في المستقبل على جمع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة ان يتخذ مثل هذا النظام

هذه هي التراتيب التي نرى من الواجب على الحكومة ان تتخذها في المستقبل حتى اذا سافر الحجاج كانوا بسببها ءامنين مطمئنين على اموالهم وابدانهم وكرامتهم اما بقاء الحالة على ما هي عليه الآن ففيه جلب لقلاقل لا داعي اليها ومن اليسير تداركها . وفيه ايضا تضعيف لهمة الناس عن الاقدام على الحج مع ان حكومتنا بصبغتها الاسلامية من واجبها ان تسهل اسباب هاته الفريضة على الناس وتبذل معهم غاية الجهد في ازالة العراقيل والاتعاب التي يمكن ان تحول بينهم وبينها

اما حجاج هذا العام فاملنا وطيد في ان الحكومة ستدافع عنهم وستنير لهم حقوقهم المهضومة لا سيما بعد العناية التي اظهرها جلالة ملكنا ابقاه الله وذلك بان تلزم مستاجر الباخرة بان يرجع لكل

من اعطي موضعا اقل من رتبته مقدار الفرق بين الرتبة التي دفع اجرتها والتي اعطيت له بالفعل وبان تلزمه بترجيع الستمائة فرنك التي اخذها منهم بعنوان المرور من بوغاز (بورت سعيد) حيث ان ذلك داخل في اجرة الركوب كما وقع عليه الاعلان وكما وقع عليه التعاقد . ونلاحظ هنا للحكومة بان البحث الاداري الذي طلبت اجراءه من الحكومة الجزائرية كما اشرنا اليه سابقا لا يكفي وحده لاظهار الحقيقة . لان الابحاث الادارية قد تسير على اوجه يكون مـآلها طمس الحقيقة عوضا عن اظهارها لذلك نرجو اجراء بحث شرعي على الطريقة القضائية المعمول بها في سائر النوازل المدنية فما الحجاج الا مدعون وما مستاجر الباخرة الا مدعى عليه فينبغي تسيير النازلة على هذا الاساس حتى تتجلى فيها الحقيقة . وحتى يعلم مستاجر الباخرة ان الحجاج التونسيين ليسوا العوبة في يده وان لهم حكومة عادلة متيقظة تدافع عنهم وتحول بينهم وبين كل ضيم يراد الحاقه بهم .

والمرجو ان تاخذ هاته القضية حقها من العدل والانصاف . بفضل انتصار الحكومة واصرار الحجاج على المطالبة وان يعود الينا حجاجنا الكرام جامعين بين اداء الفريضة وحسن القبول متزودين بعظمة البيت الحرام ومهبط الوحي ومدينة الرسول بعد ما وقفوا على قبره صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا يقف شقي عليه . ولا يحظى بالمثول بين يديه . والله المرجو بفضله ان يوفقنا لتدارك ما فات وان يعفو برحمته عما ارتكبناه من الزلات . انه الكريم الذي عم فضله كل قاصد . والرحيم الذي شملت رحمته كل صادر ووارد .

محمد المختار بن محمود

محاسن الفقر

روي عن ابي الدرداء انه قال : لان اموت وعلي اربعة آلاف درهم انوي قضاءها احب الي من ان اترك مثلها حلالا . وقال سلمان الفارسي قد خشيت ان اكون قد تركت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل ولم ذاك : قال لانه قال من اراد ان يدخل الجنة فلا يكن زاده من الدنيا الا كزاد الراكب وانا قد جمعت ما ترون . فقوموا ما عنده فبلغ ثمانية عشر درهما . وكان يقال من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فعلى الدنيا العفاء . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه : اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة الفقراء اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا . فسئل بعضهم ما الكفاف فقال جوع يوم وشبع يوم . قيل وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك يا رب



الحمد لله

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

« ٤ »

« الحمد لله » هذا اول القرآن على الصحيح من مذاهب علماء الامصار وهم الذين لا يرون ان البسملة آية من سورة الفاتحة والفاتحة هي اول سورة من القرآن اعتبارا ولذلك جعلت أوله في ترتيب المصحف المستند لقراءة النبيء صلى الله عليه وسلم فسواء كانت الفاتحة اول القرآن نزولا على قول بعض العلماء أم كان غيرها اوله نزولا فان الفاتحة هي اول القرآن اعتبارا وترتيبا ويجوز ان يقدم بعض الكتاب في الوحي ثم يوقف بعد ذلك على الترتيب المراد .

وانما جعلت سورة الفاتحة اول سور القرآن لان فيها اعداد نفوس السامعين لتلقي الهدي الذي اشتمل عليه القرآن فان القرآن انما انزل هدى للناس وتبيانا للاحكام التي بها اصلاح الناس في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن للنفوس سبق اعتياد بذلك لزم ان يهيأ المخاطبون بها الى تلقيها ويعرف تهيؤهم باظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كل ما من شانه ان يكون عائقا عن الانتفاع بهاته التعاليم النافعة وذلك بان يجردوا نفوسهم عن العناد والمكابرة وعن خلط معارفهم بالاغلاط الفاقرة. فان النفس لا تكاد تنتفع بالعظات والنذر .ولا تنتفع بالحكمة والنظر . ما بقي يخالجها العناد والبهتان او تخامرها نزغات الشيطان . فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة ، والتخلية عن السفاسف الرذيلة، فنبه الله تعلى المخاطبين بهذا الكتاب الى هاته الخصلة ليكون تلقيهم لما يرد في تضاعيفه من الاحكام اسرع واثبت بما لقنهم اياه من المناجاة التي اشتملت عليها سورة الفاتحة وهي المشار اليها بقوله : ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الى ءاخرها فانها مناجاة للخالق تضمنت التنزه عن التعطيل والالحاد والدهرية بما تضمنه قوله « ملك يوم الدين » وعن الاشراك حسب ما تضمنه قوله « اياك نعبد واياك نستعين » وعن المكابرة والعناد بما تضمنه « اهدنا

الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم » فان طلب الهداية اعتراف بالاحتياج الى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بان من العلم ما هو حق ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط ومن اعترف بهذين الامرين فقد اعد نفسه لاتباع احسنهما. وعن الضلالات التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها الى دركة اقل مما وقف عنده الجاهل البسيط وذلك بما تضمنه قوله «غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ولاجل هذا سميت هاته السورة ام القرآن كما تقدم ، ولما لقن المخاطبون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي الى الاحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء ان يفتتحوا مناجاتهم اياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد ، لكل بليغ مجيد ، فلم يزل البلغاء من يومئذ يلقبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعه على الحمد بالابتر اخذا من حديث كل امر ذي بال لا يبتدا فيه بالحمد لله فهو ابتر وقد لقبت خطبة زياد ابن ابي سفيان التي خطبها بالبصرة بالتبراء لانه لم يفتتحها بالحمد .

وكانت سورة الفاتحة لذلك منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب او المقدمة للخطبة وهو شان عظيم من الانشاء فان تقديم المقدمة بين يدي المقصود اعون للافهام وادعى لوعايتها . ومما يحسن في الديباجه أو المقدمة امور احدها الايجاز لئلا تمل النفوس بطول انتظار المقصود ولانه ادل على بلاغة المتكلم وعدم حصره وعيه. الثاني الاشارة الى الغرض المقصود وهو المعبر عنه ببراعة الاستهلال لانه يهيء النفوس للغرض حتى تتأهب للتلقي ان كانت من اهل التلقي والنقد او التكملة ان كانت في تلك الدرجة ولان ذلك يدل على تمكن المتكلم من الغرض وثقته بصحة قوله فيه حتى انه ينبه النفوس اليه. الثالث الاشتمال على الحمد لله تعلى. وقد جمعت ديباجة القرآن وهي الفاتحة هاته المحاسن وابانتها وهذا عندي هو السر في قصر سورة الفاتحة مع ان السور الاوائل من القرآن هي الطوال . الرابع ان تكون من بليغ الكلام وجوامعه .

والحمد هو الثناء على الجميل اي الوصف الجميل الاختياري فعلا كان كالكرم واغاثة الملهوف ام غيره كالشجاعة . وقد جعل الثناء جنسا للحمد فهو اعم منه ولا يكون ضده فالثناء الذكر بخير مطلقا وشذ من قال يستعمل الثناء في الذكر مطلقا ولو بشر وينسب لابن القطاع وغره في ذلك ما ورد في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار » وانما هو مجاز دعت اليه المشاكلة اللفظية. واما الذي يستعمل في الخير والشر فهو النثاء بتقديم النون وهو في الشر اكثر كما قيل . ولا يخفى ان اخذ الثناء جنسا لمفهوم الحمد يقتضي ان يكون الحمد ذكرا باللسان فلا يعترضك ما اعترضهم من اشكال كون الله تعلى حامدا لنفسه مع التنزه عن

اللسان ومع كونه جامدا نفسه في الازل فلا يكون بالقول لان ذلك مدفوع بداهة بان المراد باللسان الكلام عبر به لانه الآلة لذلك في المتعارف فالحمد بالكلام النفسي يقدر ثناء لانه سيكون مدلول كلام لفظي او انشاءه او نحوها عند ما يبلغ للملائكة او البشر بعد ايجادهم . على ان المفهومات اللغوية وضعت للمتعارف بين المتواضعين على اللغة واطلاقها على الصفات الالهية ومتعلقاتها انما هو بالتقريب بغاية المستطاع كما قدمناه في الرحمن . واما المدح فقد اختلف فيه فذهب الجمهور الى ان المدح اعم من الحمد فانه يكون على الوصف الاختياري وغيره وهي طريقة البيضاوي وظاهر كلام القاموس وقال صاحب الكشاف الحمد والمدح اخوان .

وعندي ان القول بترادف الحمد والمدح هو الحق الذي لا ينبغي الانصراف عنه وهو الذي يشهد به استعمال العرب ، والحمد في الآية مرفوع باتفاق القراء الا من شذ وهو مرفوع على الابتداء والمجرور خبره اذ لا يتوهم غير ذلك وهو من المصادر التي اتت بها العرب بدلا عن افعالها في معنى الاخبار فاصله النصب على المفعولية المطلقة على انه بدل من فعله وتقدير الكلام نحمد حمدا لله حمدا فلذلك التزموا حذف افعالها معها مثل سقيا ورعيا وخيبة وبؤسا واما قول العرب سقيالك فانما هو ليبينوا المعنى بالدعاء وربما تركوه فاذا عرفوا هذه المصادر رفعوها نحو الحمد لله والعجب له والويل له وانما استحبوا الرفع فيه لانه صار معرفة وهو خبر (اي غير انشاء) فقوي الابتداء (اي انه لما كان خبرا لادعاء وكان معرفة بال تهيأت فيه اسباب الابتداء لان كونه في معنى الاخبار يهيء جانب المعنى للخبرية وكونه معرفة يصحح ان يكون مبتدأ لان الابتداء انما هو خبر واحسنه اذا اجتمع معرفة ونكرة ان تبدأ بالاعرف وهو اصل الكلام ، وليس دخول الالف واللام في هذه المصادر بمطرد فلم يقولوا السقي لك والرعي لك . ومن العرب من ينصب بالالف واللام وعليه عامة بني تميم قال صاحب الكشاف والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى اه . . . . »

قلت وانما كان الاصل في هاته المصادر النصب لانه اصل المصادر في هذا الباب لانها بدل عن افعالها فكان الشان ان تكون منصوبة لتدل على الافعال المحذوفة لا سيما وقد كثر النصب فيها نحو حمدا وشكرا . او لان المصادر دالة على الاحداث القائمة بمحالها فهي تقتضي ان يدل على نسبتها لمحالها والاصل في الدلالة على النسب هو الافعال وقد تأيدت هذه المناسبة بورودها منصوبة بكثرة كما قاله السيد في شرح الكشاف

ومن شان بلغاء العرب انهم لايعدلون عن الاصل الا وهم يرمون الى غرض عدلوا لاجله والعدول عن النصب هنا الى الرفع لتتأتى لهم الدلالة على الدوام والثبات لصيرورة الجملة اسمية . والدلالة على العموم المستفاد في المقام من آل الجنسية والدلالة على الاهتمام المستفاد من التقديم . وليس واحد

من هذه الثلاثة بممكن الاستفادة لو بقي المصدر منصوبا اذ النصب يدل على الفعل المقدر والمقدر كالملفوظ فلا تكون الجملة اسمية اذ الاسم فيها نائب عن الفعل ولا يحصل الدوام . ولانه لايصح معه اعتبار التقديم فلا يحصل الاهتمام ولانه وان صح اجتماع الالف واللام مع النصب كما قريء بذلك وهي لغة تميم فالتعريف حينئذ لايكون دالا على عموم المحامد لانه ان قدر الفعل أحمد بهمزة المتكلم فلا يعم الا محامد المتكلم دون محامد الناس وان قدر الفعل نحمد واريد بالنون جميع المؤمنين بقرينة اهدنا الصراط المستقيم وبقرينة اياك نعبد فانما يعم محامد المؤمنين او محامد الموحدين كلهم كيف وقد حمد الله تعلى اهل الكتاب والعرب في الجاهلية قال امية بن ابي الصلت

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس احسانه عنا بمقطوع

اما اذا صار الحمد غير جار على فعل فانه يصير إخبارا عن جنس الحمد بانه ثابت لله فيعم كل حمد كما سياتى . واعلم ان قراءة النصب وان كانت شاذة الا انها مجدية هنا لانها دلتنا على تطور هذا التركيب المشهور وان بعض العرب نطقوا به في حال التعريف ولم ينسوا اصل المفعولية المطلقة . فان قلت لماذا وقع الاهتمام بالحمد مع ان ذكر اسم الله تعلى اهم فكان الشان تقديم اسم الله تعلى حتى لا يلجأ الى تغييره عن النصب الى الرفع لاجل هذا الاهتمام قلت قدم الحمد لانه حمد على نعمة تنزيل القرآن الذي فيه صلاح الدارين فتلك المنة من اكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لاسيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية فكان خطوره عند ابتداء سماع إنزاله او ابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعلى من الصفات الجميلة وذلك يذكر بوجوب حمده وان لايغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة فلذلك قدم وازيل عنه ما يؤذن بتاخيره ثم ان ذلك الاهتمام تاتى به اعتبار الاهتمام بتقديمه ايضا على ذكر الله تعلى اعتدادا باهمية الحمد العارضة في المقام وان كان ذكر الله أهم في نفسه لان الاهمية العارضة تقدم على الاهمية الاصلية لانها امر يقتضيه المقام والحال والآخر يقتضيه الواقع . والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام . ولان ما كان الاهتمام به لعارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه اذ قد يخفى بخلاف الأمر المعروف المقرر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيته التنبيه على غيره . فان قلت كيف يصح كون تقديم الحمد وهو مبتدا مؤذنا بالاهتمام مع انه الاصل وشان التقديم المفيد للاهتمام هو تقديم ما حقه التاخير . قلت لو سلم ذلك فان معنى تقديمه هو قصد المتكلم للاتيان به مقدما مع امكان الاتيان به مؤخرا لان للبلغاء صيغتين متعارفتين في حمد الله تعلى احداهما الحمد لله كما في الفاتحة والاخرى لله الحمد كما في سورة الجاثية . واما قصد العموم فسيتضح عند بيان معنى التعريف فيه وليس هو متعينا في كون اللام فيه للاستغراق كما نقله الخفاجي عن رد ذكره البيضاوي لان العموم حاصل على كلا التقديرين كما سيجيء نعم ان العموم مستفاد من التعريف باللام واللام لا تاتى الا عند العدول به عن التنكير الذي هو اثر اعتباره بدلا عن الفعل (البقية على الصفحة عدد ٢٢٥)

« الرحمن على العرش استوى »

من تفسير فضيلة شيخ الاسلام المالكي

« كتب الي احد الفضلاء من بلد طولقة من عمالة قسنطينة يسالني عن قوله تعلى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وذكر انه عجز عن فهم المراد منها وانه تطلب كشف الاشكال فلم يحظ بكشفه ولما رايت من حذقه وسمو همته احببت ان اتحفه بتفسير هذه الآية على وجه ارجو ان يزيل اشكاله . ويزيد على مثل هذا المهم الشريف اقباله »

هذه الآية تندرج تحت القسم الثاني من اقسام المتشابه العشرة التي تعرضت لتاصيلها وفرعتها في تفسير سورة آل عمران ونشرت خلاصة ما كتبته فيها في مجلة الهداية الاسلامية في ج ١٢ من المجلد ٢ لسنة ١٣٤٨ وحاصله ان هذا القسم هو من المتشابه الذي نشأ التشابه فيه من القصد الى اعلام الامة بمعان من شؤون عظمة الله تعلى تعين ايرادها مجملة لتعظيم وقعها في نفوس السامعين حتى يستحضر كل لب مقدارا من مداولها على مقدار تفاوت القرائح والافهام مع الاعتماد على ايمان المخاطبين بها ان لا يحملوها على ما يظهر بادىء الراي من معان لا تليق بجلال الله تعلى . وهذه الآية ونحوها كقوله تعلى في سورة الاعراف ثم استوى على العرش لكونها من المتشابه كانت طرائق علماء الاسلام في الكلام عليها مختلفة متفاوتة

فاما السلف من الصحابة فلم يخض منهم فيه سائل ولا مسئول ولا تطلبوا بيانه من الرسول وتلك سنتهم في امثالها حين كانت عقائد الامة سالمة من الدخل . وحين كان معظم انصرافها الى حسن العمل . ثم حدث التشوف الى الغوص على المعاني في عصر التابعين وربما طنت بآذانهم اسئلة السائلين فاخذوا يسدون باب الخوض في مثل هذا ويبتعدون عنه لواذا والحقوه بالمتشابه فقضوا بالامساك عن تاويله ويقولون امنا به ويتاولون لطريقتهم بقوله تعلى « ومايعلم تاويله الا الله » ثم بقوله « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ولذلك نقل عن جماعة منهم انهم قالوا في آيات المتشابه « نمرها امرارا كما جاءت بلا كيف ولاتعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل » ودرج على ذلك معظم ائمة العصر الذي بعد عصر التابعين مثل مالك وابي حنيفة والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان ابن عيينة ومن تبع طريقتهم من اصحابهم والطبقة التي تليهم مثل الشافعي وعبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه ونعيم بن حماد شيخ البخاري واحمد بن حنبل والبخاري وقد سئل مالك رحمه الله عن هذه الآية فقال للسائل « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة وفي رواية (والكيف غير معقول) والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة واظنك رجل سوء أخرجوه عني » وعن سفيان الثوري انه سئل عن الآية فقال « فعل فعلا في العرش سماه استواء » . ثم طلع الشك بقرنه في نفوس من لم

يزنوا الايمان حق وزنه فاضطر المتكلمون من ائمــة الاسلام فيما اضطروا اليه من تبيين حقائق الصفات وتعلقاتها الى ان يخوضوا في الآيات وتاويل متشابهاتها اقناعا للمرتاب ، واقماعا لمن جاء يفتح لالحاده الباب ، ولم يروا عملهم هذا مخالفا لما درج عليه السلف ولكنهم رأوا السلف سلكوا التأويل باجمال وراوا انفسهم في حاجة الى تفصيل التأويل وراوا ان كلتا الطريقتين تاويل وفسروا قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم بمعنى عطف قوله الراسخون على اسم الجلالة. ولقد ابدع إمام الحرمين في بيان وجه عدم الامساك عن تفصيل التأويل اذ قال « ان كل مؤمن مجمع على ان لفظة الاستواء ليست على عرفها في الكلام العربي فاذا فعل ذلك فهو قـد فسر لا محالة (يعني حيث لم يحمل اللفظ على ظاهر معناه) فلا فائدة في تاخره عن طلب الوجه والمخرج البين بل في تأخره عن ذلك إلباس على إلباس وايهام للعوام » وقال الغزالي « لاخلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع الا به اهـ . » وتسمى هذه الطريقة طريقة الخلف وهي الطريقة المثلى المناسبة لما عدا القرون الثلاثة الاولى ومن ثم قال بعض العلماء « طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم » ومعنى هذا الكلام فيما افهم انا ان السلف ارشدوا الى تطلب السلامة من الخوض في مثله خشية قصور الافهام والتورط في الشك فلما لم ينصع الناس الى نصحهم وابوا الا السؤال وادخال الشك تعين سلوك طريقة الخلف فهي اعلم اي ادخــل في العلم اي اكثر علمـا لان بيان التأويـل وتفصيله يكثر فيه الاحتياج الى الاستدلال بالعلم والقواعد

وكلتا الطريقتين طريقة هدي يسع المسلم سلوكها قـال ابن السبكي في خاتمة جمع الجوامـع « وما صح في الكتاب والسنة من الصفات نعتقـد ظاهر المعنى وننزه عنـد سماع المشكل ثم اختلف ائمتنا أنؤول ام نفوض منزهين مع اتفاقهم على ان جهلنا بتفصيله لا يقدح »

فعلى طريقة الخلف تأولوا قوله تعلى الرحمن على العرش استوى بتاويلات ثلاثة

التأويل الاول قال جمهور الاشاعرة وفي مقدمتهم امام الحرمين ان معنى الاستواء القهر والغلبة والاستيلاء كما في قول الاخطل

قـد استوى بشـر على العـراق ... من غيـر سيف ودم مهـراق (١)

وقول الآخر

فلما علـونا واستوينـا عليهـم ... جعلناهم مرعى لنسر وطائـر

وهذا هو التأويل الشائع بين طلبة العلم وعندي ان معناه ضعيف اذ لا مناسبة لان تستعمل غلبة

---

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم الاموي اخو الخليفة عبد الملك بن مروان توفي سنة ٧٥ بالبصرة عن نيف واربعين سنة كان جوادا ممدحا اولاه عبد الملك امارة الكوفة سنة ٧٢ ثم ضم اليه امارة البصرة سنة ٧٣ فاجتمع له العراق كله وبعد وفاته خلفه على امارة العراق الحجاج بن يوسف

العرش في معنى عظمة الله تعلى اذ ليس العرش بمتوهم فيه خالقية ولا تعاص حتى يعبر بغلبته عن عظمة الغالب وعلى هذا التأويل فالمراد بالعرش العرش الذي هو من عالم السماوات

التأويل الثاني للامام الرازي قال الاستواء الاقتدار وزعم انه احسن تأويل والحق عندي أنه تأويل ضعيف اذ لا كبير معنى للاقتدار هنا والمراد بالعرش على هذا مثل المراد به على التأويل الاول

التأويل الثالث قال صاحب الكشاف « لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك (بكسر اللام) يرادف الملك (بضم الميم وسكون اللام) عرفا اي يلازم وصف الملك جعله العرب كناية عن الملك (بضم الميم) فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة اه . » يريد ان ذلك من الكناية باللازم المتعارف عن الملزوم ومعلوم ان اللفظ المستعمل كناية عن لازم معناه لا يلزم فيه صحة ارادة الملزوم فلذلك زاد صاحب الكشاف قوله « وان لم يقعد على السرير البتة » فالمراد بالاستواء فيه هو معنى الجلوس والمراد بالعرش كرسي الملك فحصلت الكناية بذلك عن الملك ولا استواء ولا عرش

❁ ❁ ❁

ويظهر لي تأويل رابع ، وميزانه في سورة الحق راتع : وهو ان قوله تعلى الرحمن على العرش استوى مركب دال على هيئة جلوس الملك على العرش وتلك هيئة عظيمة في عقول السامعين فقد عرف العرب ملوك الفرس وملوك الروم وتبابعة اليمن ودخلت وفودهم اليهم ، وتحدثوا بعظمتهم في سوامرهم ونواديهم ، حتى تقرر في اذهان اهل الصناعة اللسانية منهم ما لهؤلاء الملوك عند جلوسهم على عروشهم من العظمة المفرطة والجلالة البالغة فجاء في هذه الآية تشبيه عظمة الله تعلى التي لا تصل العقول الى كنه هيئتها بهيئة عظمة هؤلاء الملوك تشبيها مقصودا به التقريب وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس واستعمل المركب الدال على الهيئة المشبه بها في معنى الهيئة المشبهة استعمال الاستعارة التمثيلية وقد تقرر في علم البيان ان التمثيل هو اعلى انواع الاستعارة لابتنائه على التشبيه المركب الذي هو ابدع من التشبيه البسيط وقد نشأت عنه امثال العرب كما هو مقرر وعلى هذا الوجه فالمراد بالاستواء وبالعرش مثل المراد به في التأويل الثالث وانما ترجح عندي كون الآية استعارة تمثيلية وليست بكناية وان كانت الكناية تجيء بالمركب نحو قول زياد الاعجم

ان السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

لوجهين احدهما اعتبار رشاقة المعنى فان الكناية تنبني على صحة ارادة المعنى الصريح وذلك اصل الفرق بينها وبين المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم فقولهم طويل النجاد لا يفهم منه السامع الا ان له نجادا طويلا وان ذلك يلزمه طول القامة وان المتكلم ما اراد الا الاخبار عن طول القامة فالسامع يظن انه طويل النجاد حقيقة وكذلك جبان الكلب ومهزول الفصيل وقد يكون المتحدث عنه لا نجاد

له ولا كلب له ولا فصيل الا ان ذلك امر قلما يعلمه السامع . واما الآية فلا يصح فيها ارادة المعنى الاصلي لما هو معلوم لكل مؤمن من استحالة جلوس الرحمان على العرش فلا يصح الكنى به عن معنى الملك المقصود من الآية ولا يغني عن ذلك قول صاحب الكشاف « وان كان لم يقعد على السرير البتة » لان الذي نظر به تجوز فيه ارادة المعنى الاصلي والآية لا يجوز فيها ذلك فكيف يصح في الآية الانتقال من المعنى الاصلي الى المعنى الكنائي مع ان المنتقل منه لا يستقر فيه الذهن فضلا على ان ينتقل منه فلزم سلوك طريقة الاستعارة التمثيلية ونظير الآية قول ابى تمام

من شاعر وقف الكلام ببابه واكتن في كنفي ذراه المنطق

فقوله وقف الكلام ببابه ليس كناية عن ملازمة صنعة الكلام لهذا الشاعر بل هو تمثيل لتسخير الكلام حتى صارت هيئة مقدرته على الكلام الذي يريده تشبه هيئة تسخير عبد واقف ببابه لخدمته يتوجه اينما وجهه او هيئة عاف واقف ببابه لطلب معروفه وكذلك قوله واكتن في كنفي ذراه المنطق لظهور ان الشاعر لم يثبت لنفسه ذرى يسكنها المنطق بخلاف بيت زياد الاعجم فان المروءة والسماحة والندى مشتمل عليها ابن الحشرج فتكون قبة ابن الحشرج مشتملة على السماحة والمروءة والندى لاشتمالها على الموصوف بها .

الوجه الثاني بقاء لفظ الاستواء ولفظ العرش لمعنييهما الحقيقيين لان المركب في الاستعارة التمثيلية ليس فيه اطلاق مفرداته على غير ما وضعت له بل مفرداته باقية في معانيها وانما الاستعارة في مجموع المركب . وهذا الوجه احسن تاويلا واقوم قيلا . واوضح حجة ودليلا ،

قاله : محمد الطاهر ابن عاشور

عليك ايها المسلم ان تعلم انه . . .

اذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا ظهر الربا ظهر الفقر واذا خفرت الذمة اديل العدو .

وعن ابن عباس قال :

اذا رأيتم السيوف قد اعريت والدماء قد اريقت فاعلموا ان حكم الله جل وعز قد ضيع وانتقم من بعضهم ببعض . واذا منعتم القطر فاعلموا ان الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله جل وعز ما عنده

آيــة التغــابن

نشرنا بالجزء الرابع من مجلد هذا العام تفسيرا لآية التغابن وهي قوله تعلى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور . ثم بعد ذلك ارسل الينا فضيلة الشيخ الصادق المحرزي الاستاذ بالكلية الزيتونية تحريرا ابان فيه عن رأي ءاخر في فهم الآية المشار اليها ننشره له اتماما للفائدة شاكرين همته العلمية ونصه بعد ديباجته : وقفت بالجزء الرابع من المجلة الزيتونية على ما حبره يراع العلامة الهمام شيخ الاسلام المالكي شكر الله سعيه وأدام رعيه جوابا عن سؤال ورد على فضيلته في استكشاف المراد بالتغابن في قوله تعلى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فاذا هو وجه وجيه يستحسنه كل نبيه وبما انه كان يختلج بصدري وجه ءاخر لعله يكون من محامل الآية الكريمة فقد اردت ان اكشف الستار عنه في مجلتكم الغراء

ذلك انه لا خلاف بين المفسرين في ان المراد بيوم التغابن هو يوم القيامة ، ولطوله كما قال تعلى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون» وتعدد مواقفه العظام تعددت اسماؤه باضافته اليها فيسمى تارة بيوم الحساب واخرى بيوم الحشر واخرى بيوم التغابن وفي ذكر يوم التغابن عقب يوم الجمع اشارة الى انه من اول مواقفه ولا يخفى ما في التعبير عنه بذلك من التهويل ، والتغابن تفاعل من الغبن كالتغافل والتناسي لفظا ومعنى ومنه الغبن في البيع اذا غفل البائع عن قيمة متاعه فباعه بابخس منها وعليه فيحتمل ان يكون المراد بيوم التغابن يوم تناسي الناس مبراتهم وطاعاتهم التي هي بضائعهم في دار الدنيا وكانوا اعـدوها لذلك اليوم العظيم وبخسهم لقيمتها حتى لا يرون لانفسهم طاعة تذكر ولا مبرة تشكر امام ما يشاهدونه من هول ذلك الموقف (جعلنا الله فيه من الآمنين يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) فلا اعتماد للمخلوق الا على رحمة الخالق ومن نوقش الحساب هلك فقد ورد في حديث الشفاعة العظمى على ما رواه الشيخان في صحيحيهما من رواية انس ابن مالك وابي هريرة رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انــه قــال : يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظـرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولـون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى مــا نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله (١) ونهـاني عن الشجرة فعصيت (٢) نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيذهبون الى نوح فيقولون

---

(١) اي اظهر شدة غضبه في هذا اليوم على من عصاه مريدا ايقاع العذاب به وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده

(٢) اي خالفت امر ربي وهي مخالفة بحسب الظاهر لان آدم لم يتعمد المخالفة بالاكل من .

انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول مثله ويذكر خطيئته التي اصاب بسؤال ربه بغير علم (١) وفي رواية وكانت لي دعوة (٢) دعوت بها على قومي . نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذبات كذبهن (٣) نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى كليم الله ونجيه فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب بقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

عين الشجرة التي نهي عنها وانما اكل من شجرة اخرى من نوعها ظنا منه انه انما نهي عن عين تلك الشجرة لا على نوعها لتتم كلمة ربك ففي الحديث ان موسى عليه السلام قال لآدم انت اكلت من الشجرة فاخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى تلومني على امر قدره الله قبل خلقي بالف سنة فقال صلى الله عليه وسلم فحج ءادم موسى وانما اطلق على هاته المخالفة معصية في حق الأنبياء عليهم السلام لشدة تعظيمهم لله تعلى حتى انهم يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا مما لم يوافق ما سبق في علم الله ذنبا عظيما من باب حسنات الابرار سيئات المقربين والا فالانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الوقوع في المعاصي حقيرها وجليلها حفظا لهم ولطفا بهم من الله تعلى اذ العصمة كما قال ابو اسحاق الماتريدي هي ان يخلق الله تعلى في النبيء مانعا عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجئه ويسلب اختياره ويجلبه على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف قلت وبذلك نفهم جيدا معنى قوله تعلى في حق يوسف عليه السلام « ولقد همت به وهم بها لو لا ان رأى برهان ربه »

(١) هو ما نطق به القرآن العظيم بقوله : ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين)

(٢) دعوة نوح عليه السلام ما قصه الله تعلى في سورة نوح من قوله: وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا « اي هلاكا». روي عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

(٣) اخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاثا ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله اني سقيم لما دعاه ابوه للسجود للصنم . وقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون . وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان هاهنا رجلا معه امراة من احسن الناس فارسل اليه يساله عنها فقال من هذه فقال اختي فاتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سالني فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت فاطلق فدعا بعض حجبته فقال انكم لم تاتوني بانسان وانما اتيتموني بشيطان فاخدمها هاجر فاتته وهو قائم يصلي فاومأ بيده مهيا فقالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره واخدم هاجر (قال ابو هريرة تلك امكم يا بني ماء السماء) وهي دفينة مع ابنها اسماعيل بالمطاف امام باب الكعبة شرفها الله



روي عن أبي أمامة ابن سهل انه سمع ابا سعيد الخدري رضي الله تعلى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر ابن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا بما أولت ذلك يارسول الله قال الدين

البيـــان

هذا الحديث الشريف اخرجه البخاري رحمه الله تعلى في باب تفاضل اهل الايمان في الاعمال والكلام فيه ينحصر في ثلاثة مباحث وخاتمة الاول في تحقيق معنى الرؤيا والثاني في طريـق تعبيرها والثالث فيما يتعلق بجوهر الحديث والخاتمة في مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

المبحث الاول

قرر علماء الشريعة المطهرة أن الله تعلى خلق الآدمي مركبا من عنصرين سماوي وارضي فهو ناظر للارضي بجسده وللسماوي بروحه التي جعلها الله قائده الحيوي في تدبير شؤونه من جلب المنافع ودفع المضار فكانت الروح كشمس مضيئة على بدنه مطلعها القلب ومن حكمته تعلى ان جعل الحواس

فاوتى فاقول لهم انالها فاتي تحت العرش فاخر ساجدا فاحمد الله بمحامد لا اقـدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله فيقال لي يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي امتي(٢) الى ءاخر الحديث » وبما تضمنه هذا الحديث من هول ذلك الموقف العظيم وان الناس يهرعون فيه الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام في طلب الشفاعة ولا يقدم عليها الا من خصه الله بها صلى الله عليه وسلم يتضح لك جليا وجه العدول عن التعبير في الآية الكريمة بيوم الغبن الى يوم التغابن بزيادة الالف لدلالتها على امتداد مدلوله وانتشاره بين جميع الطبقات وتاكيد وقوعه كما هي في قوله تعلى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اذ المراودة انما وقعت من امراة العزيز فقط دون يوسف عليه السلام وان ما تمحله بعض المفسرين من جعل الالف فيه للمفاعلة المقتضية وقوع الفعل من الجانبين كالمخاصمة في غنية عنه كلام الله الحكيم . وفوق كل ذي علم عليم ،

---

(١) قوله امتي امتي الظاهر ان الثاني تاكيد للاول على وزان قول الانبياء عليهـم السـلام نفسي نفسي وفي مقابلته والمراد بامته صلى الله عليه وسلم جميع من في المحشر من المؤمنين لان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم واضافهم صلى الله عليه وسلم لنفسه اما تغليبا لامته ويحـق لها ذلك لفوزها بهذا النبيء العظيم وسبق سعادتها كما قال تعلى كنتم خير امة اخرجت للناس او ان جميع المؤمنين في ذلك الموقف العظيم كامة واحدة له صلى الله عليه وسلم لارسالهم من انبيائهم والتجائهم اليه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة كما قال تعلى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

الخمس كسحاب يغشاها في حال اليقضة ولولاه لانكشفت لها جميع المدركات الغيبية اذ هي من عالم الملكوت

فاذا سكنت الحواس وارتاضت الروح بالنوم او بغيره كالتجرد للحق تعلى امكنها استطلاع ما كان مستورا عنها وانكتشفت لها مدركات جزئية تارة تتعلق بنفس الرائي وتارة بغيره فتحفظها المخيلة حتى اذا زال الارتياض ورجعت الروح لعملها البدني حكتها المخيلة للحس المشترك بصورة تناسبها مرة مناسبة تامة فلا تحتاج الى التعبير ومرة غير تامة فتحتاج اليه

ومن حكمة اللطيف الخبير ان جعل الارواح كالاجساد قوة وضعفا فالاجساد يظهر اختلاف قواها ومقاديرها في الاعمال البدنية والارواح يظهر اختلافها في المدركات العلمية

وبما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم اقوى الناس ارواحا لضعف اشتغالهم بمراجع الحواس البدنية واعراضهم عن المصالح الدنيوية كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تأبير النخل انتم أعلم بامور دنياكم كانت مرائيهم عليهم الصلاة والسلام صادقة وضربا من الوحي الالهي الذي خصهم الله به الا تنظر الى قول اسماعيل عليه الصلاة والسلام لابيه عند ما قال له سيدنا ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك قال افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقد جعل ما رءاه ابوه في المنام امرا من الله تعلى . وفي حديث عائشة رضي الله تعلى عنها انها قالت اول ما بدىء به رسول الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح . وبكونه لا فرق بين ما يوحى به اليه صلى الله عليه وسلم يقضة او مناما في التشريع لامته اذ لا ارتياب في صدق ما يخبر به عن ربه تعلى كما قال جل وعلا وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى تسنى للعلماء الخلاف في حديث المعراج هل كان يقضة او في المنام ولا خلاف بينهم في صحة ما ورد فيه والعمل به من افتراض الخمس صلوات في اليوم والليلة وغيره من احاديث المرائى المشحونة بها كتب الصحاح غير ان القرآن العظيم لما كان كلام الله المقدس لم يوح شيء منه مناما اعتناء بشانه وحفظا له من الاشتباه حيث كان متعبدا بلفظه بل نزل كله يقضة منجما بحسب الوقائع والحادثات بواسطة جبريل عليه السلام الملقب بالناموس عند اهل الكتاب قال الجوهري في صحاحه ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن امره ويخصه بما يستره عن غيره

وبما ان اول ما بدىء به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة عدها من المبشرات بنبؤته والمبشر من ياتيك بخبر الخير اولا فقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية من خمسة وستين وفي رواية من سبعين جزءا من النبوة وحملت الرواية الاولى وهي اشهر الروايات على ان مدة نبوته

صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثة وعشرين سنة منها ستة اشهر يوحى له فيها بالرؤيا الصالحة وحمل بعضهم اختلاف الروايات في العدد على اختلاف حال الرائي في الصلاح وهو حسن

ونقل القرافي عن الكرماني في كتابه الكبير ان ما يراه النائم يرجع الى ثمانية اقسام اربعة منها ناشئة عن الاخلاق الاربعة الغالبة على مزاج الرائي وهي السوداء والصفراء والبلغم والدم فمن غلب عليه خلط رأى ما يناسبه كالالوان السود والمحرقات لمن غلبت عليه السوداء والالوان الصفر والطعوم الحامضة لمن غلبت عليه الصفراء والالوان الحمر والطعوم الحلوة لمن غلب عليه الدم والمياه والثلوج لمن غلب عليه البلغم . والخامس ما هو من حديث النفس في النوم ويعرف ذلك بجولانه فيها في اليقظة والتفكر فيه . والسادس ما يحدث به الشيطان ويعرف بكونه فيه حث على تنكره الشريعة والسابع الاحتلام وذلك بان يتمثل له الشيطان في صورة توقعه في الحلم ولذا ينبغي التعوذ منه عند النوم والتحصن بما وردت به الآثار من القرآن العظيم وفي الحديث الشريف الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان وهاته الاقسام السبعة لا تعبر وليست برؤيا روحية بل هي خيالات موهومة تجول بنفس النائم والقسم الثامن هو ما تستكشفه الروح من اللوح المحفوظ بواسطة الملك الموكل بها وهو المعبر عنه بالرؤيا الصالحة في قوله صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة وبما تضمنه الحديث المذكور من انها جزءا من النبوة فلاينبغي ان يعبرها الا من كان من اهل العلم الذين يحسنون تعبير المرائي بما اودع الله فيهم من المعرفة والقوة الذهنية على ادراك ما تضمنته . قيل للامام مالك رحمه الله تعلى ايفسر الرؤيا كل احد قال ابالنبوة يلعب فقيل له ايفسرها على الخير وهي عنده على الشر لقول من قال الرؤيا على ما اولت فقال الرؤيا جزء من اجزاء النبوة أفيتلاعب بامر النبوة . وذلك لان ما يراه النائم ينحدر من المخيلة للحس المشترك بمثل لاشياء موجودة او ستوجد لا انه يرى حقائق تلك الاشياء بعينها فيدخلها ما يدخل الالفاظ الصوتية من الحقيقة والمجاز والكناية والتصحيف والقلب وغير ذلك اذ تعبير الرؤيا هو العبور من ظاهرها الى باطنها والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد فينبغي للمعبر ان يكون عارفا بتطبيقها على ما ينص عليه وان ينظر في القرائن الخارجية من احوال الرائي وغيرها حتى بتفرس الحقيقة فيمكنه تطبيق الاثار الخيالية على المدركات الروحية كما لو رأى نائم انه يخوض بحرا فيعبر له بفيضان نعم الله عليه ان كان تاجرا او من حواشي السلطان وبحصول علم متسع ان كان من طلبته ومن رأى انه صعد على منبر فيعبر له بولاية ملك ان كان من اهله وبخطة القضاء ان كان من اهل العلم وقد اذكرني ذلك ما رايته في تاريخ ابن الاثير ان الحسن ابن علي رضي الله عنهما لما تخلى عن الخلافة وسلمها لسيدنا معاوية رضي الله عنه عام اربعين من الهجرة ورجع من الكوفة الى المدينة لقيه اعرابي في الطريق وكان من شيعة ابيه وفيه غلظة فقال له الى اين تذهب يا مسود وجوه

المسلمين منكرا عليه التسليم في الخلافة فقال له الحسن رضي الله عنه لا تعذلني يا اخ العرب فان جدي صلى الله عليه وسلم راى في المنام بني امية يترقون على منبره واحدا بعد واحد فلما استيقض استوحش من ذلك فانزل الله عليه (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر) تسلية له بجعل بيته بيت نبوة فعلم ان بني امية يتولون هذا الامر ويمكث بايديهم الف شهر وتصديقا لذلك فقد كانت مدة خلافة بني امية من تاريخ تسليم سيدنا الحسن ثلاثة وثمانين سنة واربعة اشهر وهي الالف شهر. كما ينبغي للمعبر ان يكون مستحضرا لآيات الكتاب الحكيم والسنة النبوية اذ كثير من المرائي ما يستند في تفسيرها للكتاب والسنة. فقد رايت في ترجمة ابي الوليد الباجي ان تلميذه ابا محمد الهواري وكان يميل لما يراه شيخه ابو الوليد من انه صلى الله عليه وسلم باشر الكتابة بنفسه فيما كتبه لسهيل بن عمرو في صلح الحديبية مع قريش فرأى في المنام انه دخل المدينة واتى المسجد النبوي فرأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتشقق ويميد ولا يستقر فاعتراه فزع عظيم فقص رؤياه على ابي الحسن بن معوز من غير ان ينسبها لنفسه فقال له اخشى على صاحب هذه الرؤيا ان يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس من صفته وينتحله ما ليس له اصل فساله من اين علمت هذا فقال من قوله تعلى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) فتاب الى الله ورجع عما كان يعتقده وما رجع اليه هو التحقيق في المسئلة فانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب قبل النبوة وبعدها على الصحيح تحقيقا للمعجزة وان الكاتب لصك صلح الحديبية هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقد روي انه لما ابتدأ الكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال له سهيل بن عمرو نحن لا نعرف الرحمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب ثم كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله لا تبعناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي امحها فقال علي والله لا امحها وانت رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم ارني اياها فاراه اياها فمحاها بيده الكريمة وقال له اكتب من محمد بن عبد الله. ولله در البصيري في قوله : كفاك بالعلم في الامي معجزة ✽ في الجاهلية والتاديب في اليتم يتبع

محمد الصادق المحرزي

كلمات حكيمة

قيل لحكيم : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني ، قيل فما الحزم ؟ قال : انتهاز الفرصة ، قيل فما الحلم ؟ قال : العفو عند القدرة ، قيل فما الشدة ؟ قال : ملك الغضب ، قيل فما الخرق ؟ قال : حب مغرق وبغض مفرط ،



مقدمة

للاستاذ الشيخ بهجة البيطار « صاحب المقال » سمعة مقرونة بالتجلة والاكرام اذ انه عالم دمشق الاوحد الذي يسير على قدم الاستاذين محمد عبده والافغاني ويقتفي اثر المجددين الذين يانفون من الجمود المزري بالدين وينكر على البدع المسيئة لسمعة الاسلام والمسلمين دون ان يخشى في الله لومة لائم ومع ذلك فهو عالم عامل لا تجد معمعة سياسية الاوله فيها القسط الاوفر وما من جمعية خيرية الا كان احد مؤسسيها ويقضي بياض نهاره في الارشاد والوعظ في مجتمعات الشبيبة والطبقات العامة دون اجر سوى ثواب الآخرة شان الفقراء الصابرين وهذه الواجبات المهمة لم تمنعه من اداء واجب في المجمع العلمي العربي الذي هو احد اعضائه البارزين

والخلاصة ان الاستاذ البيطار يعد الان قطب دائرة علماء الدين علما وعملا بالديار الشامية ولعلني ساعرف به القراء في مقال آخر مطول بعد ان تتمكن الصلة بينه وبين مجلتنا كما انني ساعرفهم ببعض رجالات الشرق الذين سيبعثون بنفثات يراعهم الى المجلة الزيتونية الغراء فالى اللقاء .

دمشق — محمد الكامل التونسي

الاخلاق الفاضلة

المحاضرة المرتجلة التي القاها الاستاذ محمد بهجة البيطار في مدرج الجامعة السورية

افتتح القول باسم الله وبحمده والصلاة والسلام على النبي العربي العالمي وعلى سائر اخوانه الانبياء والمرسلين ومن تبعهم في هديهم واصلاحهم .

سيدي الوزير المعظم ـ اساتذتي الاجلاء ـ زملائي الاعزاء :

فكرت فيما القيه على مسامعكم الكريمة هذه الليلة ، وفكرت في نفسي ايضا ، فوجدتني مدرسا للدروس الدينية ، ووجدت الاولى بي ان يكون موضوعي اخلاقيا ، ولكن الناس اختلفوا في الاخلاق اختلافا بينا ، فما يراه هذا سيئا يراه الآخر حسنا ، فرايت ان استمدها اخلاقا قدسية سماوية ممن اوجد هذا العالم وعلم ابانا آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

آيات عشر من آخر سورة آل عمران كان يتلوها ويعجب بها معلمنا العربي الاول (صلوات الله عليه) كان اذا نهض ثلث الليل الاخير تلا هذه الآيات وانتم ايها الاساتذة الكرام تحيون طائفة من الليل باعداد دروسكم وتصحيح وظائف تلاميذكم فجدير بنا ان نتلو تلو معلمنا الاول ونستفتح

عملنا بتلاوة هذه الآيات واولها (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) .

لا اريد ان اذكر ما يتعلق بهذه الآيات من الوجوه الشرعية والعربية فذاك في كتب التفسير وهي في متناول ايديكم ايها الاساتذة الكرام ولكن اورد بعض ما يحضرني في معاني بعض هذه الآي الشريفة مقتصرا في ذلك على ما يتسع له المقام .

(ان في خلق السموات والارض) هذه الآية صريحة في ان الله تعلى جعل للانسان سلطانا على العوالم العلوية والارضية ودلت على ان الانبياء هم اول من فتحوا ابواب البحث والنظر في العلوم الكونية وهذا كقوله سبحانه قل انظروا ما ذا في السموات والارض فهو نظر علمي ينتج افضل النتائج والثمار وكقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) وهو تسخير تمكين وانتفاع واكتشاف واختراع .

وكقوله (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وهذا خطاب عام لامة القرآن يدعوهم ويوجه نظرهم الى ما اودع تعالى في جوف هذه الارض من الكنوز والمعادن ويرشدهم الى الاستفادة منها والانتفاع بما بث فيها من الخواص والقوى ويثبت ان جميع ما استحدثته امم الغرب من المكتشفات والمخترعات هو مما ارشد اليه الاسلام وسبقت الى العمل به الامة العربية في عصورها الذهبية فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لاحكامه وتجريد لهذه الامة من كل ما يعزز قوتها وينمي ثروتها ويدفع عوادي الشر عنها وأي جناية على هذه الامة اكبر من هذه الجناية .

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

الجمع بين الذكر والفكر في آية واحدة هو جمع بين العلم والفضيلة ولا غنى لاحدهما عن الآخر وانما قدمت الفضيلة لانها اساس العلم ونبراسه وعليه بنيت فكرة التربية الصحيحة القائلة (هذبوا النفوس قبل ان تعلموا الرؤوس) فالذكر ينبوع العدل والرحمة والفكر آية العلم والحكمة الذكر والفكر هما علم وعمل بل هما جناحان يحلق بهما الفرد والامة في سماء العلم والعرفان والرحمة والاحسان،الذكر هداية ورحمة.والفكر علم وحكمة ولا غنى للفكر عن الذكر الا اذا امكن ان تستغني هذه الارض عن نور الشمس . هذه الامة العربية ايام نهضتها قد فجرت القرآن عيونا واستنبطت من كنوزه اخلاقا وعلوما فهم بعد ان سمت عقولهم بالتوحيد وزكت ارواحهم باقدس العبادات اصبحوا بعلمهم وهديهم خير امة اخرجت للناس لم يشهد التاريخ لهم مثيلا بين الامم ،

(وهنا اورد الاستاذ المحاضر الشواهد الكثيرة من سيرة الخلفاء الراشدين والملوك العادلين ثم قال.)

وقد وصفهم الحكيم الاجتماعي كوستاف لبون بقوله (لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم ولا اعدل من

العرب) لقد فسر الذكر ايضا بالصلاة كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك) اي لا يقطعون ذكرهم في جميع احوالهم بسرائرهم وحركاتهم والسنتهم كما قال احد الذاكرين .

ذكرتك لاني نسيتك ساعة　　　وايسر ما في الامر ذكر لساني

قال لي شاب مرة : ان هذا العصر هو عصر مادة وقوة فما فائدة العبادة الشخصية كالصلاة مثلا في معترك الحياة العملي والجهاد القومي . فاجبته بان جميع التكاليف الشرعية من روحية وبدنية ومالية مبني على درء المفاسد عن الامة وجلب المصالح لها فالصلاة الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر واشد الفواحش والمنكرات فتكا وهتكا هي تلك الجيوش المعنوية التي مهد بها الغرب السبيل لفتح بلاد الشرق كالخمر والقمار والبغاء والربا والانتحار فكثير ممن اضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي اسلمه الى الجنون او المنون فكان ذلك من اشد المصائب على الوطن واهله

فالمرجو منكم ايها الزملاء الاعزاء ان تربوا النشء الجديد على حب الله واقام الصلاة والمحافظة عليها وان تحيوها في المدارس بل ان تحيوا المدارس بها فهي من الوجهة الصحية رياضة بدنية ولكنها تمتاز من الوجهة الروحية بانها صلة بين المخلوق وربه وبين الروح وجسمه وبين الآخرة والاولى

وقد اخبرنا الاستاذ محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف المصرية الجليلة في دار معالي وزيرنا ان وزارة معارف مصر قد انشأت مساجد في جميع مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية وانهم فصلوا مدارس الذكور عن الاناث فمتى يكون عندنا مثل هذه النهضة الخلقية الطيبة

وجملة القول . ان الذكر بلا فكر جهل وضعف والفكر بلا ذكر قسوة وعنف ونحن لو كنا من اولى الذكر الصحيح لطهرت بلادنا من المهالك والمفاسد ولو كنا من اولى الفكر الصحيح لاوجدنا كل ما نحتاج اليه واستغنينا بذلك عن الاجانب فطوبى لمن جمع بين الامرين ونالوا الحسنيين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته . وما للظالمين من انصار

اي شيء اخزى من افتضاح السرائر والاعمال في ذلك اليوم العصيب (يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) . ولكن هل يبالي بخزي الآخرة من يرتكب الجرائم والمآثم في هذه الدنيا ولا يبالي بالخزي

القرآن الحكيم يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس واعمالهم ويميز بين طبقات محسنيهم ومسيئيهم فلا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحدا ولا يجعلهم في الآخرة مستوين في منازل الكرامة او الندامة ام يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام يجعل المتقين كالفجار

الفتاوى والاحكام

وردت على ادارة المجلة الاسئلة الآتية

السؤال (١) إمام تذكر وهو في صلاة الظهر انه لم يصل الصبح فقطع صلاة الظهر وقضى الصبح ثم أدى الظهر فقيل له أعليك فوائت فقال نعم علي فوائت قديمة وانا منذ عشرين سنة لم تترتب علي فوائت فقيل له واجبك التمادي على صلاتك ثم قضاء الصبح مع الفوائت القديمة فهل ما قيل له هو الصواب او ما فعله. وهل صلاة المأمومين بطلت عليهم حين قطع الامام ام هي صحيحة فيتمونها

الجواب : ان من تذكر وهو في صلاة حاضرة فوائت تزيد على الخمس سواء أكانت قديمة العهد ام حادثته ام بعضها قديم العهد وبعضها حادثه (كما في صورة الحال) - يجب عليه التمادي على الصلاة التي هو فيها اتسع وقتها او ضاق لان الترتيب انما يجب بين الحاضرة ويسير الفوائت دون كثيرها قال خ «ويسيرها مع حاضرة» قال عبد الباقي في حل هذه العبارة: ووجب غير شرط ايضا مع ذكر ترتيب يسيرها (اي الفوائت) اذا اجتمع مع حاضرة - قال عليش - ومفهوم يسيرها تقديم الحاضرة على كثيرها وهو كذلك ندبا ان اتسع وقتها ووجوبا ان ضاق - فاطلاق فقهائنا لمفهوم يسيرها دون تفصيل بكونها مجتمعة او مفترقة قديمة العهد او حديثته دليل على عدم اختلاف الحكم - اما ما يخص صلاة المأمومين في صورة ما اذا قطع الامام جهلا كما في واقعة الحال فلا شك انها تبطل لبطلان صلاة الامام لان كل صلاة بطلت على الامام بطلت على المأموم الا فيما أستثني وهذه الصورة ليست منه ولذا ذكروا في صورة ما اذا تذكر الامام فوائت يسيرة وهو في صلاة حاضرة انه يقطعها محافظة على

فعلى رجال العلم والاخلاق ان يبينوا للناس ان اهل الخزي في الدنيا هم اهل الخزي في الآخرة وان نار الآخرة وقودها جثث وهام. ويجب على حماة الوطن والاقتصاد ان يحسموا من هذه البلاد مادة الفساد اذا ارادوا سلامة هذه الامة ووطنها وان ينصحوا للمتهورين من الشباب بمقاطعة الملاهي الفاسدة المفسدة والسعي في اغلاق المقامر وبيوت الفحش والخمور والعري والفجور ويجب بيان ان هذا العري الذي يبديه الرقيق الابيض الماجور في نوادي الخزي والعار هو تقليد لبعض همج القرون الوسطى كما يراه المتتبع لتاريخ الفحشاء واسبابها وامتدادها ونشوئها بين الامم وهل يسهل على رجال العلم والاخلاق ان تشيع الفواحش في هذه البلاد المباركة وان يكون بعض شبابنا اداة لحمل هذه البضاعة الضارة ونقلها الى بيوت الطهر والعفاف ويكون هو ايضا جرثومة للاوبئة والامراض وسببا لضياع الانساب والاحساب وافساد الفتيان والفتيات وحل روابط الاسر والبيوتات

الترتيب الواجب وان مأمومه يقطع ايضا تبعا لـه قال خ - وامـام ومأمومه قال عبد الباقي - اي وقطع امام ذكر اليسير عليه وهو في صلاة وقطع مأمومه تبعا له -

السـؤال (٢) اكثر جوامع بلد جربة مطاهرها في جوانب رحابها بحيث انه لا يمكن الوصول اليها للتطهر الا بالمرور على تلك الرحاب كما انه يقع تعليم الصبيان بها في ظل جدران رحابهـا صباحا ومساء فهل رحبة المسجد كالمسجد في الحرمة عند المالكية ام ان المسجد يزيد حرمة على رحبته فان كان الثاني فلا حرج علينا فيما كنا نفعله وان كان الاول فقد كنا في خطا عظيم

الجواب ان رحبة المسجد (اي صحنه) كالمسجد في الحرمة عندنا قال عبـد الباقي عند قـول خ - وتمنع الجنابة موانع الاصغر الا كآية لتعوذ ونحوه ودخول مسجد ولو مجتازا - ما نصه - وسطحه وصحنه كهو - نعم استثنى فقهاؤنا مسائل يجوز للجنب فيها دخول المسجد بالتيمم وهي اذا كان مريضا او مسافرا عادما للماء او حاضرا صحيحا اضطر لدخوله بان لم يجد الماء الا في جوفـه او كان بيته داخله واراد دخوله او الخروج منه لاجل الاغتسال او اضطر للمبيت به ففي الصورة المسؤول عنها لا يجوز للجنب الحاضر الصحيح اجتياز صحن الجامع للوصول للمطهرة التي به ليتطهر منها ولو تيمم لذلك اللهم الا اذا فرضنا انه لم يجد ماء الا في تلك المطهرة . هذا هو مشهور مذهب مالك نعم هناك قول لبعض اهل المذهب رده خ (بلو) على عادته وهو انه لا باس بمرور الجنب بالمسجد اذا كان عابر سبيل اي مجتازا اخذا بظاهر قوله تعلى (يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلمـوا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) بناء على ان المعنى ولا تقربـوا مواضع الصلاة الا عابري سبيل وحمل مالك عابر السبيل في الآية على المسافر وجعل معنى الآية لا تفعلوا في حال السكر صلاة ولا تفعلوها وانتم جنب الا عابري سبيل اي وانتم مسافرون بالتيمم امـا تعليم الصبيان في المساجد فهو جائز اذا حوفظ على حرمـة المسجد وروعيت آدابـه وعمل المسلمين بمدارسة العلم بالمساجد سلفا وخلفا شرقا وغربا من غير نكير عليهم في ذلك برهان واضح على الجـواز والله اعلم

السـؤال (٣) ما جرت به العادة من الجهر بالذكر حال حمل الجنازة والسير بها الى المقبرة هل هو افضل لما فيه من تذكير المشيعين وحملهم على الخشوع حيث ينبههم الى ترك الاشتغال بلهـو الحديث ولغوه ام ان الافضل السكوت لانه ادعى للتذكر والاعتبار بناء على ان العبـادة بالفكر افضل من العبادة بالذكر

الجواب انه وقع خلاف بين ائمة المالكية هل القراءة على الميت عند موتـه وبعـده وعلى قبره مكروهة او مستحبة والمذهب وهو الذي اقتصر عليه خ هو الكراهة قال خ عاطفا على ما يكـره - وقراءة عند موته - ويتخرج على هذا الخلاف في القراءة الخلاف في الذكر حال حمل الجنازة الواقع في السؤال والذي يظهر من مذهب مالك رضي الله عنه كراهة ذلك لما ذكروه دليلا للقـول بكراهة

القراءة على الميت نقلا عن سماع ابن القاسم واشهب عن مالك من قوله - ليست القراءة والبخور من العمل - اي انها ليست من عمل السلف الصالح وان وجه ذلك كون المقصود تدبر احوال الميت للاتعاظ بها وما ذكر من الكراهة هو المناسب لمذهب مالك وشدة تمسكه بالسنة وما كان عليه السلف وفرط كراهته للابتداع حتى انه في مذهبه يكره قول القائل استغفروا للجنازة قال خ - وقول استغفروا لها - وذلك لان هذا القول بدعة ولذا لما سمع سعيد بن جبير هذه المقالة قال لقائلها - لا غفر الله له - على ان ما جاء في السؤال من كون الذكر جهرا حال حمل الجنازة ينبه المشتغل بلهو الحديث الى الاعتبار والاتعاظ - لا يتم لانا نشاهد ان ذلك لم يمنع المشيعين من الاشتغال بالحديث المنهي عنه حال اتباع الجنازة

السؤال (٤) الزكاة في المزارعة هل تجب في نصيب رب الارض فقط دون نصيب العامل ام تجب الزكاة فيهما ولو كان العامل خماسا وعلى الاحتمال الثاني هل يضم النصيبان لبعضها بحيث تجب الزكاة فيهما ان كان مجموعهما نصابا ولو لم يبلغ احدهما او كل منهما بانفراده نصابا ام لا يضمان بل ينظر لكل منهما هل بلغ نصابا ام لا

الجواب ان الزكاة في المزارعة تجب على من بلغ نصيبه من الشريكين نصابا سواء في ذلك رب الارض ام العامل ولو خماسا من غير ضم احدهما للاخر قال البرزلي في نوازل الزكاة ما نصه : ولا زكاة على شريك في ميراث او غيره حتى يبلغ نصيبه نصابا ومثله الخماس اليوم لانه شريك

السؤال (٥) تاجر محتكر باع لتاجر مدير زيتا بقدر معلوم من الدراهم للبتوة على ان يقبل من المشتري عوض الدراهم شعيرا بقدر معلوم من الدراهم ايضا للويبة وعلى ان يكون قبض الشعير بعد بيع المشتري للزيت وشرائه بثمنه شعيرا وذلك في مقدار ثلاثة اشهر فهل هذا البيع صحيح جائز ام لا

الجواب انه بيع فاسد غير جائز سواء نظرنا لكونه في الحقيقة بيعا للزيت بالشعير من غير تناجز وهو ممنوع لانه بيع للطعام بالطعام نسيئة ام نظرنا الى ظاهره حيث اشتمل على عقدين بيع الزيت بالدراهم وتصيير الشعير فيها لان التصيير شرطه الانجاز لما تصير كما لا يخفى ويشتمل هذا التعاقد على وجه آخر للمنع وهو ان الاجل المضروب لقبض الشعير « الذي هو ثمن الزيت او هو مصير في ثمنه » غير معلوم لان الثلاثة الاشهر جعلت ظرفا للقبض وهي زمن ممتد من اول يوم منها لآخر يوم فوقت القبض مجهول وجهالة الاجل في المعاملات يوجب بطلانها

السؤال (٦) رجل تحصل على غلة زيتون تبلغ نصابا واراد ان يخرج زكاتها دراهم بمقدار قيمة ما وجب عليه فهل يجزئه ذلك في المذهب المالكي ام لا

الجواب ان مذهب مالك عدم اجزاء ذلك فلا بد من اخراج الزكاة من عين ما وجبت فيه

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معـارف الحكومة المغربيـة الشريفة

« ٤ »

١٤ — لا تجد الاسلام يكلف ان تعتقد ما هو ضد ما تحس وما تتعقله يقينا. وعقائده مقبولة في غاية السهولة ليس فيها لغز ولا رمز ولا ايهام كما يوجد في عقائد غيره من الملل بل عقائده مبينة واضحة والدين دين الاميين وتجد غيره من الاديان غير خال من ذلك

فالوثني يصور صورة بيده من حجر أو حلواء ثم يعبدها ويطلب منها خيره او يدفع بها ضره ثم يأكل الحلواء ويكسر الحجر. وكل عقائده لغوز ورموز لا حل لطلاسمها الى الابد وتجد البوذي بل والمسيحي تكلفهما الكنيسة باعتقاد التثليث او الحلول والاتحاد ولم يقم لهما عليه برهان بل المسيحي تكلفه الكنيسة ان يعتقد في خبز ياكله انه لحم المسيح الذي رفع الى السماء منذ قرون وهي تحرم اكل لحوم الادميين وان يعتقد في خمر يشربه انه دم المسيح ايضا وهو قد خبز الخبز بيده وعصر الخمر بيده

وكلفته باعتقاد ألوهية المسيح مع اعتقاد انه بشر مولود ياكل ويشرب ويحتاج الى ما يحتاج اليه الانسان وانه وجد بعد ان لم يكن وانه ولدته مريم وانه ولد الله (تعالى عن ذلك) وبالجملة تكلفه باعتقاد المتناقضات المستحيلات اعتقادا جازما لا يرتاب فيه فهل ذلك ميسور ...؟

والمسلم في راحة من حمل هذه الاثقال . بل نقول قد أوجب الاشعرية اعتقاد تنزيه الله عن الجهة فاذا وجد قاصر العقل ضيق الفكر لا قدرة له على فهم هذه العقيدة واعتقد الجهة فانه معذور

لان الشارع قصد تشريك الفقراء مع الاغنياء في اعيان الاموال ولذا علق الزكاة بالاعيان غير انه في صورة الحال له الخيار بين أن يخرج العشر زيتا او حبا

السؤال (٧) ما يصرفه رب الزيتون على جمع زيتونه هل يطرح بمقداره من الزيتون ويزكي الباقي فقط اولا يطرحه بل يزكي الجميع ـ وما يبيعه قبل تمام عصره من الزيتون ليخلص من ثمنه العملة هل يخرج عشره ام لا

الجواب ان ما يصرف على جمع الزيتون لا يطرح بمقداره من الزيتون وان ما باعه منه قبل تمام عصره محسوب عليه في الزكاة فيجب زكاة الجميع ان بلغ نصابا لان الزكاة وجبت في عينه من غير اي اعتبار آخر ولذا قال مالك يحسب على الرجل ما أكل من الثمر والزرع قبل الحصاد في النصاب . والله اعلم

علي النيفر

بالعجز كما وقع للامة التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله فقالت في السماء فقبل اسلامها وحديثها في الصحيحين

١٥ – مدار عقائد الاسلام على تنزيه الله عما لا يليق بمقام الالوهية وعدم التعطيل بان تثبت له تعالى الصفات التي اثبتها النقل وسلمها العقل

ثم انا وجدنا آيات دلت على التنزيه (ولم يكن له كفؤا احد) (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما) (هل تعلم له سميا) ووجدنا آيات اكثر منها عددا (١) دلت على التشبيه (الرحمن على العرش استوى) (يخافون ربهم من فوقهم) (وهو معكم) (أمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض) (ان اصنع الفلك بأعيننا) (لما خلقت بيدي) (والسموات مطويات بيمينه) في آيات أخر

لما تعارضت الادلة السمعية فزع العلماء الى العقل وجعلوه حكما . فتصفح ادلة التشبيه فوجدها نفسها تعارضت فما دل على جهة العلو عارضه ما دل على المعية او الامام وما جاز على نصوص الجهة جاز على النصوص الدالة على الجوارح اذ الكل تشبيه فسقط ما دلت عليه من الظاهر التشبيهي المنافي للتنزيه وبقي ما دل على التنزيه على نصوصيته والعقل عاضد له (٢)

اذ العقل يحيل ان يكون الاله الذي خلق العالم والزمان والمكان والاجرام وعوارضها الازلي الابدي القائم بنفسه الغني عن غيره الذي لم يكن من شيء ولا عن شيء موصوفا بما يخالف ذلك من التشبيه الدال على الحدوث والافتقار واذا احال ذلك فقد حكم برجحان آيات التنزيه على التشبيه واوجب عدم اعتقاد ما افاده ظاهر هذه من التشبيه

ثم لك ان تفوض وان تؤول حسب مشربك فالعقل لا يوجب هذا ولا ذاك فادلة العقل مقدمة عند علماء الكلام على ما تدل عليه ظواهر الاوضاع العربية اذ ادلة العقل يقينية والاوضاع ظنية لان الآيات الدالة على التشبيه ليست دلالتها صريحة وانما هي ظاهرة تقبل التأويل فهي ظنية الدلالة واليقين مقدم على الظن باجماع العقلاء كما سبق (٣)

١٦ – في القرآن والسنة آيات واحاديث دلت على قواعد من العلوم العقلية المحضة فلسفية طبيعية وهندسية وفلكية وغيرها ترشد الى حقائق الكون وادوار الطبيعة وادوار حياة الانسان الى غير ذلك مما يبهت الناظر ويستوقف الخاطر أ ـ كآية وارسلنا الرياح لواقح الدالة على إلقاح الانثى

(١) خلافا لابن خلدون في المقدمة ان آيات التنزيه اكثر

(٢) بهذا التحرير تعلم ما وقع لابن القيم في اعلام الموقعين ج ٢ عدد ٣٧٠ وبهذا يمكنك التخلص ايضا مما وقع للذهبي في كتابه العلو فانظرهما

(٣) بهذا الجواب تعلم دفع ما اطال به الذهبي في كتاب العلو مما يخالف هذا وكذلك ابن تيمية وغيرهما

بالذكر من النبات ، عرف العرب هذا من القرآن منذ بضعة عشر قرنا وما اكتشفت العلوم الطبيعية الا حديثا

ب ــ آية انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب . اشارة الى قاعدة هندسية

ج ــ آية او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . اشارة الى الاستفادة من علوم الفلسفة الطبيعية

د ــ آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . اشارة الى النظر في علم الهيئة والفلك والتعديل

هـ ــ آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون.اشارة الى النظر في علوم البحر والحوادث الجوية وعلم النبات والحيوان الى غير ذلك

و ــ وقوله تعلى والله أنبتكم من الارض نباتا وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر . بينت الآيتان اطوارا الانسان قبل الرحم وفي الرحم حيث كان جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا فتبارك الله احسن الخالقين ويتعلق بذلك فوائد من علم التشريح وغيره

ز ــ آية الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة . رتبت مراحله بعد الولادة الى الوفاة

ح ــ آية كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم.اخذوا منها قواعد من علم الاقتصاد السياسي وكل هذه الآيات وغيرها اذا راجعت التفاسير وما أخذه علماء الاسلام منها مما يطول بنا تتبعه وجدتها منبهة الى الاستفادة من العلوم العقلية والاستعانة بها على فهم الحياة مع الاستدلال بها على صميم المعتقدات وكل ذلك دليل اعتبار الدين للعقل والعلم واعتضاده بهما وكيف والقرآن يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ويجب علينا ان نقف عند حد ما يدل عليه الاسلوب العربي وان نتمسك بالحقائق ممسكين عن السباحة في بحر الخيال متحققين ان القرآن قد يدخر الله فيه للمتأخرين ما لم يصل اليه المتقدمون

١٧ ــ أخذ علماؤنا علوما عقلية وضموها الى علوم الدين كالحساب والهندسة وتخطيط البلدان ومسح الارضين والاقتصاد السياسي وغير السياسي وعلم الطب والصيدلة والنجوم والتعديل وكل ما

يفيدنا في حياتنا ويتوقف عليه امر من امور ديننا او دنيانا فالحساب صار جزءا من علم الفرائض (التركات) الذي يروى فيه انه نصف علم الشرع .والقرآن اعتبره ايضا قال لتعلموا عدد السنين والحساب .ومن لم يتقن الحساب لم يتقن قسم التركات وايصال كل ذي حق حقه ومن لم يعرف مسح الارض والهندسة لم يكن قساما ولا يصلح كاتبا للخراج ومن لم يكن طبيبا لم يصلح ان يشهد في العيوب وقيس الجراحات والتدميات الى غير ذلك

فكل علم يتوقف عليه وظيف من الوظائف الشرعية أوامر من امور الدين صار من جملة العبادات

ولكونه وسيلة الى مقصد أعطى حكم ذلك المقصد من وجوب كفاءي او عيني او ندب (١)

فاكثر العلوم العقلية صارت من العلوم الشرعية فكيف يكون الدين ضد العلم ام كيف ينكر مسلم تعلمّ هذه العلوم وهي من الفروض الدينية

وتسميتها علوما حديثة تسامح لان جلها وجد قبل الاسلام انما الذي يحق ان يسمى علوما حديثة ما اخترعه الاروبيون والاميركيون بعد نهضتهم الاخيرة

كما فعل غيرهم من الامم قبلهم فالاسلام اخترع ما اخترعه قبلهم واخترع قبله غيره ايضا يونان وغيرهم فاخذه الاسلام وهذبه ونماه

فالعلوم العقلية ملك مشاع بين الامم كل عمل فيه ما قدر له نعم المسلمون وبالاخص العرب منهم اكثرهم كان معتنيا بالعلوم الادبية اكثر من غيرها لترقية النوع الانساني واخراجه من ظلمات الجهل والاخلاق الفاسدة والاوهام والضلالات التي تعوقه عن الرقي وبالعلوم الرياضية

وكان اعتناء اوربا بالعلوم الطبيعية والميكانيكية ونحوها ولها ايضا فضل عظيم في ذلك وان ادى كثير منه الى هلاك النوع الانساني

ولكن الذي مهد السبيل لذلك هي العلوم التي مهدها الاسلام من ادبية ورياضية واحتفظ بامانتها

فالاسلام مهد الارض وزرع وغيره نمى الزرع وحصد وكل ما زادته اوروبا او غيرها يتعين علينا معرفته والا كنا مخلين بواجب ديني

١٨ — اكثر العلماء اختصاصا بعلوم الدين هم فلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية وخدموها خدمة جلى مثل ابي يوسف يعقوب الكندي اعظم فلاسفة العرب والاسلام ثم الغزالي والرازي وسعد الدين التفتازاني وابن رشد الحفيد ويطول بنا تعدادهم

وماسبب ظهور الاشعري وتمذهب اكثر الائمة بمذهبه والانتساب له الا طول باعه في الفلسفة التي بها استعان على هدم اصول الاعتزال فلو لم يكن الدين معتبرا للعقل وعلومه ماكان اشد

(١) انظر شراح خليل لدى قوله في الجهاد كالقيام بعلوم الشرع وانظر احياء الغزالي وغيرها

الناس اختصاصا بهما اشدهم اختصاصا به . لم يأنف المسلمون عن اخذ العلوم العقلية حتى عن الامم المقهورة لهم مثل الفرس والهند والرومان واليونان اخذوا كل فلسفة وجدوها عند غيرهم فهذبوها وهم الذين احيوا فلسفة اليونان بعد دروسها بقرون ونشروها في اوربا ولولاهم لضاعت ولو ضاعت ما امكن اوروبا ان تنهض هذه النهضة الا بعد قرون من زماننا هذا

فالدين الاسلامي لا يناهض الفلسفة الحقيقية المفيدة غير الوهمية ولا يمنع منها من له باع في علوم الديانة وتمكن منها نعم يمنع من الفلسفة من لم يعرف علم الدين ولا تمرس به او من كان ناقص الذكاء الفكري لان الخوض فيها لمن لم يتوفر فيه الشرطان ضرر فادح ويؤدي الى الكفر الفاضح اذ تسبق الى ذهنه الشبهة المظلمة المضلة وهو جاهل بالدين الاسلامي فيظنهما متناقضين اما من كان قليل الذكاء فشغله بها عبث وفساد

واشتغال من يجهل الدين بالفلسفة هو سبب ادعاء بعض المتفرنجين ان دين الاسلام ضد العقل والعلم وبنى على هذا الاساس المنهار قوله ان الدين مانع من رقي الاسلام

وهذا الذي وقع لمؤلف كتاب مصطفى كمال وهو حكم على شيء عظيم قبل تصوره وقياس فاسد على دين الوثنية

فالاسلام دين العلم وعضد العقل ودين الرقي وهو الدين الذي لم يشب بخرافات تشوهه وهو ما في صريح القرآن وصحيح الاثر الصريح ايضا

١٩ — اشتغل صدر الامة في خير القرون بترجمة كتب اليونان وغيرها في العلوم العقلية ايام المنصور العباسي والعلماء الكبار متوافرون فما انكر جمهورهم ولا قالوا ان ذلك ضد الدين ذلك دليل انهم كانوا يرون ان الدين ليس ضد العقل ولا العلم

وكونه تسبب في حدوث فرق المعتزلة وغيرهم فليس كل عمل يجوز يجب ان يخلو من كل مفسدة بل المدار على غلبة المصلحة على المفسدة وما سبب الفرقة الا أنصاف العلماء وأرباعهم وقدما قالوا (لو سكت من لا يدري لقل الخلاف)

وكما ترجموا علوم الاوائل عن غيرهم ترجموا ايضا دينهم الى غيرهم فترجموا القرآن وغيره ولولا الترجمة ما اسلمت تلك الامم ولا وصل الدين لاعماق قلوبهم وتمكن منهم تمكن الذي ذاقه بل امتلا منه وهضمته معدته

فالاسلام اخذ علوم غيره من الامم وبذل ما عنده بسخاء مفرط فهو ليس ضد العقل ولا العلم بحال وذلك كله يدلك على مقدار العقل وعلومه في نظر الاسلام الحنيف وعلماء الاسلام الكاملين وينفي عنه مايلصقه به اعداؤه من كونه مانعا من رقي الاسلام وهم يرون ان اهله لما كانوا متمسكين به كانوا أعلم اهل الارض وارقاهم

(يتبع)



شاع في الاوساط التونسية قديما وحديثا انه اذا وافق يوم احد العيدين الفطر والاضحى يوم الجمعة كان ذلك العيد ثقيلا على الامير

فيتشاءمون بذلك ويتطيرون وربما طوحت طيرتهم وسوء اعتقادهم ب عامتهم الى التعدي على المقامات الشرعية فيتهمون اهل الذكر الذين يجب الرجوع اليهم في ذلك وما اليه بانهم يتفادون ما امكنهم من اثبات احد العيدين بالجمعة تزلفا للامير وارضاء له

وهذا ما تكاثفت فيه الضلالة وتراكب به الجهالة اذ كيف يصح لدى ذي منطق صحيح وعقل رجيح تعقل ذلك والآثار الشرعية والادبية صريحة في الدلالة على خلافه

فليوم الجمعة من اليمن والفضيلة في الاسلام المنزلة المعروفة والمكانة الموصوفة ناهيك انه ببركته يدرأ العذاب ويتضاعف الثواب

وهذا ما شاع في العامة ايضا (ميت الجمعة مايتحاسبش) (١) وحينئذ اذا لابست هذا اليوم الميمون فضيلة زمانية اخرى كالعيدية والحج وما الى ذلك من الفضائل الزمانية فقد تم الحظ وتضاعفت الخيرات فحقت التهاني والبشارات (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

فأكرم بيوم الجمعة يوم أكمل فيه الدين وأتمت نعمة رب العالمين وارتضي فيه الاسلام دينا لعباد الله المؤمنين ولهذا السبب شاع في العامة ايضا التنويه بفضيلة حجة الجمعة على ما سواها من الايام لان حجة الوداع التي توفرت فيها تلكم النعم المذكورة في الآية المتقدمة كانت حجة الجمعة

ومما يشير الى ما تقرر في اذهان المسلمين من اعتقاد شرف الجمعة على سائر ايام الاسبوع قول الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب ويوم العيد والجمعه

وحينئذ فالمراد من ثقل يوم العيد الذي وافق يوم الجمعة على الامير انما هو الثقل الحسي الحاصل من تواصل الاعمال وترادف الاشغال على خصوص امير المؤمنين وذلك لما هو شان عامة امراء المسلمين من القيام بامامة صلاة العيد فقبول التهاني والمعايدة من عامة الشعب والرعية فصلاة الجمعة فالقيام للوافدين مباركين ومتبركين بالائمة والشفعاء على ما عليه عمل الناس في ديارنا التونسية من هرعهم الى ذلك كلما انفتل الامام من صلاة الجمعة والعيدين .

فلا جرم والحالة ما ذكر ان وردت تلك المقالة واصفة لحالة حقيقية فيها ما فيها من هذا الثقل المحسوس على امير وقتها تعارف معناها على وجهه المتواضعون في تلك العصور فتلقاها الاخلاف عن الاسلاف وبتطاول الامد واختلاف الاحوال اعتراها ما اعتراها من التحريف عن موضعها وطلوع شمسها من غير مطلعها ولله في خلقه شؤون .

الناصر الصدام

---

(١) قال صاحب الدر المختار من خصائص يوم الجمعة قراءة سورة الكهف وفيه تجتمع الارواح وتزار القبور ويأمن الميت من عذاب القبر ومن مات فيه أوفي ليلته أمن من عذاب القبر ولا تسجر فيه جهنم وفيه يزور اهل الجنة ربهم تعلى اه وكتب ابن عابدين على قوله ويأمن من عذاب القبر الخ ما نصه قال اهل السنة والجماعة عذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير وضغطة القبر حق لكن ان كان كافرا فعذابه يدوم الى يوم القيامة ويرفع عنه يوم الجمعة وشهر رمضان الى ان قال والمؤمن العاصي يعذب ويضغط لكن ينقطع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود وان مات يومها او ليلتها يكون العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع .كذا في المعتقدات للشيخ ابي المعين النسفي الحنفي من حاشية الحموي اه ملخصا بحذف وبعض تصرف

الحمد لله رب العالمين

(تابع للمنشور بصفحة عدد ٢٠٢)

فالتعريف فيه بالالف واللام تعريف الجنس لان المصدر هنا في الاصل عوض عن الفعل والفعل من قبيل المطلق عند الاصوليين او النكرة عند النحاة فلا جرم ان يكون الدال على الفعل والساد مسنده الا على الجنس فاذا دخل عليه حرف التعريف فهو لتعريف مدلوله فاذا كان المسمى جنسا فاللام تدل على تعريفه . والمراد من تعريف الجنس هو تمييزه من بين اجناس الافعال كلها كما في الكشاف وأقول اي من بين اجناس الافعال او بين الاجناس التي تلتبس به او التي تشاركه في جنس اعلى وهو الظاهر لي فاذا قلنا الحمد لله او العجب لك فانما تعرف هذا الجنس من بين اجناس الافعال كلها او من بين ما يلتبس به كأنك تريد ان هذا الجنس معروف لديك ولدى مخاطبك لا يلتبس بغيره كما انك اذا قلت الرجل واردت معينا في تعريف العهد النحوي فانك تريد ان هذا الواحد من الناس معروف بينك وبين مخاطبك وتعريف الجنس يسمى تعريف الحقيقة فهو في المعنى كالنكرة من حيث ان التعريف فيه ليس معه كبير جدوى اذ تعيين الجنس من بين بقية الاجناس حاصل بذكر لفظه الدال عليه لغة وهو كاف في عدم الدلالة على غيره اذ ليس غيره من الاجناس بمشارك له في اللفظ ولا متوهم دخوله معه في ذهن المخاطب فلذلك كانت اداة التعريف للجنس قليلة الجدوى بخلاف تعريف العهد الخارجي فانها تدل على واحد معين بينك وبين مخاطبك من بين بقية افراد الجنس التي يشملها اللفظ الدال على الجنس فلا يفيد هذا التعريف اعني تعريف الجنس الا توكيد اللفظ وتقريره وايضاحه للسامع لانك لما جعلته معهودا فقد دللت على انه واضح ظاهر وهذا معنى قول صاحب الكشاف « هو نحو التعريف في أرسلها العراك ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال » وليست لام التعريف هنا للاستغراق ولذلك قال صاحب الكشاف « والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منه » غير ان حاصل معنى الاستغراق حاصل هنا لان الحكم باختصاص جنس الحمد بالله تعالى بوجود لام تعريف الجنس في الاختصاص في قوله لله يستلزم انحصار افراد الحمد في التعلق باسم الله تعالى لانه اذا اختص الجنس اختصت الافراد اذ لو تحقق فرد من افراد الحمد لغير الله تعالى لتحقق الجنس في ضمنه فلا يتم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة . ثم هذا الاختصاص اختصاص ادعائي فهو بمنزلة القصر الادعائي للمبالغة . ثم ان جملة الحمد جملة خبرية اصالة لانها تستعمل اخبارا تقول لمن سألك لمن الحمد ؟ الحمد لله . ثم صار للانشاء بالنقل مع تعاهد الاصل كما يراد من الخبر انشاء التحسر والتحزن في نحو قوله تعالى اني وضعتها انثى وقول الشاعر هواي مع الركب اليمانين مصعد البيت فيكون المقصد الاصلي هو الانشاء والعدول الى الاخبار لما يتأتى بواسطة الاخبار من الدلالة على الاستغراق والاختصاص والدوام والثبات ووجه التلازم بين الاخبار عن حمد الناس لله وبين انشاء حمد المخبر لله تعالى ان المخبر عن حمد الناس له تعالى لا جرم انه منشيء ثناء عليه بذلك وكون المعنى الالتزامي في الكناية هو المقصود دون المعنى المطابقي اظهر منه في اعتبار الخبرية المحضة لما عهد في الكناية من انها لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادة الاصل معه وقال جماعة من ائمة اللغة ان

جملة الحمد لله انشاءي لا اشعار له بالخبرية على انها من الصيغ التي نقلتها العرب من الاخبار الى انشاء الثناء كما نقلت صيغ العقود وافعال المدح والذم اي نقلا مع عدم اماتة المعنى الخبري في الاستعمال فانك قد تقول الحمد لله جوابا لمن قال لمن الحمد او من احمد ولكن تعهد المعنى الاصلي ضعيف محتاج للقرينة

وعندي ان الحق الذي لا محيد عنه ان الحمد لله خبر مراد منه الانشاء فالقصد هو الانشاءية لا محالة وعدل الى الخبرية ليمكن تحميل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة انشاء نحو حمدا لله او احمد الله حمدا ومما دلني على اعتبار العرب اياها انشاء قول ذي الرمة

ولما جرت في الجزل جريا كانه سنا الفجر احدثنا لخالقها شكرا

فعبر عن ذكر لفظ الحمد والشكر بالاحداث والاحداث يرادف الانشاء لغة فقوله احدثنا خبر حكى به ما عبر عنه بالاحداث وهو حمده. (رب العلمين) وصف لاسم الجلالة فانه بعد ان اسند الحمد لاسم ذاته تعلى تنبيها على الاستحقاق الذاتي عقب بالوصف ليكون الحمد متعلقا به لان وصف المتعلق متعلق ايضا ليؤذن باستحقاقه الوصفي ايضا للحمد كما استحقه بذاته وذلك لان في تعليق الحكم على وصف ايذانا بالعلية وهذا الايذان مستفاد من الكلام بمعونة المقام ونسج الكلام فانه لما كان في ذكر الوصف غنية عن ذكر الموصوف لا سيما اذا كان الوصف منزلا منزلة الاسم كاوصافه تعلى وكان في ذكر لفظ الموصوف ايضا غنية في التنبيه على استحقاق الحمد المقصود من الجملة علمنا ان المتكلم ما جمع بينهما الا وهو يشير الى ان كلا مداولي الموصوف والصفة جدير بتعليق الحمد به فذلك مستفاد من كيفية تركيب اللفظ والعدول عن مقتضى الظاهر . وقد اتبع اسم الجلالة هنا باربعة اوصاف وقد رتبت الصفات المذكورة هنا ترتيبا لوحظ فيه غاية المناسبة اذا ابتدىء منها بالوصف الظاهر تعلقه بسائر المحدثات وذلك نعمة الايجاد وابلاغ الوجود الى غاية كماله ثم ثني بالوصف الذي به كمال ذلك وهو وصف الرحمن والرحيم على ما تقدم من بيان المراد بهما ثم ذكر ملك يوم الدين المنبيء بوصف العدل الذي هو سبب الثواب والعقاب لان به كمال تلك النعم الماضية لان فيه ما يزجز المفسد عن فساده ويجزي الصالح على صلاحه ولما كان الحمد على هذا الوصف انما يظهر بالنسبة للمؤمنين ناسب تاخيره بالنسبة للحمد وبالنسبة لكون متعلقه مكمل تعلقات بقية تلك الصفات المذكورة قبله .

والرب اما مصدر واما صفة مشبهة على وزن فعل من ربه يربه بمعنى رباه وساسه والتربية تبليغ الشيء الى كماله تدريجا ويجوز ان يكون من ربه بمعنى ملكه

والعالمين جمع عالم قالوا ولم يجمع فاعل هذا الجمع الا في لفظين عالم وياسم اسم للزهر المعروف بالياسمين جمعوه على ياسمون وياسمين

والعالم في الاصل ماسوى الله تعلى مما تعارفه الناس من الحوادث اي مجموع المحدثات ويطلق على كل جنس من اجناس الموجودات. وليس هو مشتركا ولا حقيقة ومجازا لان كليهما خلاف الاصل بل هو موضوع للقدر المشترك اعني ما يدل على العلم بالخالق فتارة يقصد ذلك المعنى الموضوع من حيث الصبرة والمجموع وتارة يقصد الى نوع منه متميز عما سواه وقد بنته العرب على وزن فاعل بفتح العين وهذا البناء مختص بالدلالة على الآلة غالبا كخاتم وقالب وطابع فجعلوا العوالم لكونها ءالة للعلم بالصانع او لكونها ءالة للعلم بالحقائق . ولقد ابدع العرب في هذه اللطيفة اذ بنوا اسم جنس الحوادث على وزن فاعل لهذه النكتة

وقد قال التفتزاني في شرح الكشاف العالم يطلق على ذوي العلم . وعلى كل جنس يعلم به الخالق نحو قولهم عالم الانسان عالم النبات عالم الحيوان . ولا يطلق على المجموع اي على جميع ما سواه فقال السيد ويطلق على مجموع تلك الاجناس عالم لكن الشائع انه لا يطلق على كل جنس منها الا باضافة نحو عالم الانسان عالم الملك عالم المجردات . والتعريف فيه للاستغراق اذ لا وجه لتخصيص اضافة الرب ببعض اجناس العوالم،

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الالقاب والنعوت الملكية

في البيت الحسيني

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان اول القاب الملكية الحسينية هو لقب الباي معرب من لفظ بك في التركية كما تراه بالطابع السعيد ومعناه السيد العظيم وهو في اصله عندهم اي الترك من القاب رؤساء الجيش وابناء الباشوات كما ان لفظ باي برسمه هذا معناه امير في اللغة الفارسية (١) واصل دخول هذا اللفظ في الاستعمال بتونس كان باثر دخول الايالة التونسية في طاعة السلطان سليم خان الثاني سنة ٩٨١ فان الوزير سنان باشا لما فرغ من الفتوح باشر ترتيب الدولة وجعل رئاستها في اثنين : الباي لضبط الوطن وتمهيد الراحة واستخلاص المجابي والآغه للنظر في احوال الجند وكان في الحملة اربعة ءالاف عسكري على راس كل مائة منهم امير يلقب بالداي واول من تولى خطة الباي بتونس هو رمضان باي في سنة ٩٨١ وتولاها بعده مراد باي في سنة ١٠٢٢ وهو اول امراء الدولة المرادية ثم ابنه محمد باي وغلب عليه اسم حمودة باشا وهو صاحب الجامع المنسوب له المجاور لزاوية سيدي احمد بن عروس تلقب بالباي في سنة ١٠٤١ ثم ابنه مراد باي الثاني في سنة ١٠٧٦ ثم ابناؤه الثلاثة محمد باي صاحب الجامع الضخم المواجه لزاوية سيدي محرز بن خلف وعلي باي ورمضان باي باخذ ورد بينهم في الولاية من سنة ١٠٨٦ الى سنة ١١٠٨ وتخللهم عمهم محمد الحفصي باي في سنة ١٠٨٦ وصهرهم محمد بن شكر باي في سنة ١١٠٦ ثم مراد باي الثالث بن علي باي في سنة ١١١٠ وهو ءاخر الامراء المراديين وقد حفظ له التاريخ من سوء السلوك ما يحمر له وجه السماء ثم ابراهيم الشريف باي في سنة ١١١٤ وقد تلقب بالباشا باي داي وهو ءاخر البايات قبل قيام الدولة الحسينية فكانت جملة البايات في مدة حكم الترك احد عشر بايا ولما دخلت الايالة التونسية في حكم

---

(١) هذا التعريف في اللغتين التركية والفارسية استفدته من صاحبنا المرحوم الوزير السيد الطاهر خير الدين وحق علي تزويده بالرحمة الواسعة في هذه الآونة لما كان امدني به من التحقيقات والبيانات الشافية في مجالس متكررة ببيته وبيتي اثناء ابحاثي التاريخية لضبط كثير من الحوادث التونسية التي وقعت في عهد وزارة والده رحمهما الله

البيت الحسيني سنة ١١١٧ بطلب من اهل تونس وعن طيب نفس منهم اخذت سلطة الباي في النمو والظهور واخذت سلطة الداي في التراجع والتضاؤل بتغلب الاولى على الثانية الى ان آل امر هـذه للاضمحلال والزوال وفيما بين ذلك رسخت قدم البيت الحسيني في الامارة فكان حبهم متمكنا في القلوب وسلطانهم باسطا جناحيه على كامل التراب التونسي واول من تـولى الامر منهم مؤسس بيتهم ثابت الاركان راسخ البنيان المولى حسين باي بن علي تركي في سنة ١١١٧ ثم حفيده للاخ المولى علي باي الاول بن محمد بن علي تركي في سنة ١١٤٨ ثم المولى محمد الرشيد بـاي بن حسين بن علي في سنة ١١٦٩ ثم اخوه المولى علي باي الثاني في سنة ١١٧٢ ثم ابنه المولى حمودة بـاي في سنة ١١٩٦ ثم اخوه المولى عثمان باي في سنة ١٢٢٩ ثم ابن عمه المولى محمود باي ابن محمد الرشيد باي في سنة ١٢٣٠ ثم ابنه المولى حسين باي الثاني في سنة ١٢٣٩ ثم اخوه المولى مصطفى بـاي في سنة ١٢٥١ ثم ابنه المولى احمد باي الاول في سنة ١٢٥٣ ثم ابن عمه المولى محمد باي بن حسين بـاي الثاني في سنة ١٢٧١ ثم اخوه المولى محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ ثم اخوه المولى علي باي الثالث في سنه ١٢٩٩ ثم ابنه المولى محمد الهادي باي في سنة ١٣٢٠ ثم ابن عمه المولى محمد الناصر باي بن محمد بـاي في سنه ١٣٢٤ ثم ابن عمه المولى محمد الحبيب باي بن محمد المامون باي في سنة ١٣٤٠ ثم ابن عمه ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني في سنة ١٣٤٧ اعلى الله على الاقدار قدره. وانفذ في العالمين نهيه وامره

هذا وقد نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الثاني (١) ابياتا تضمنت ذكر جميع البايات من تاريخ

---

(١) كان من اعلم فقهاء زمانه ناهيك انهم سموه بابي يوسف الثاني توفي سنة ١٢٤٧ وقد نعتوه بالثاني عقب اسمه احترازا من الالتباس بابيه الشيخ محمد بن حسين بيرم المتوفى سنة ١٢١٤ وعلى قياسه اضافوا العدد (٣) لابن الشيخ الثاني يعني الشيخ محمد بن محمد بن محمد بيرم المنعوت بالثالث المتوفى سنة ١٢٥٩ ثم اضافـوا العـدد (٤) لابن الشيخ الثالث وهو الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بيرم المنعوت بالرابع المتوفى سنة ١٢٧٨ . هذا هو السبب في اشتهارهم دون غيرهم من بيوت العلم بالاول والثاني الخ وبقي بمحفوظي من مجلس حضرته للوزير الاكبر السيد محمد الجلولي انـه ورد عليه بمشاهدتي المرحوم الشيخ محمد (السلامي) بيرم ابن الشيخ الرابع في سلسلة مجدهم الاثيل اثر ولايته خطة الفتوى سنة ١٣٢٥ وطلب منه الترخيص له باضافة العدد (٥) لاسمه فاذن لـه بذلك ولكنه لما سعى في نقش ذلك النعت على خاتمه لم تحصل الموافقة عليه من المقدس المولى محمد الناصر باي اعتبارا لكون الاعداد التمييزية المتحدث عنها انما اتخذها اسلافه بعد ولايتهم مشيخة الاسلام لا قبلها على ان رئيس جمعية الاوقـاف كان الشيخ محمد بيرم ابن المحتسب الشيخ مصطفى بيرم ابن شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الثالث المتقدم ذكره لما نشر كتابه صفوة الاعتبـار في سنة ١٣٠٢ رسم عليـه اسمه ونعت نفسه باسم محمد بيرم الخامس فيكون مبنى هذا النعت فيما يلوح هو مجرد التسمية باسم محمد في عموم السلسلة البيرمية لا باعتبـار تسلسل اسم محمد في عقب فرع واحد من اب لقب بشيخ الاسلام لابن له ورث عنه مباشرة هذا اللقب الممتاز كما هو المفهوم من النعوت العددية المضافة لاسماء الشيوخ المحمدين الاربعة الذين ورثوا بتتابع خطة المشيخة الاسلامية خلفا عن سلف

الفتح العثماني في سنة ٩٨١ الى زمن امير عصره المولى محمود باي متولي كرسي الملك الحسيني في سنة ١٢٣٠ وهذه الابيات ننقلها هنا اتماما للفائدة مذيلة بابيات على وزنها وقافيتها نظمتها في ذكر بقية البايات الحسينيين من اين وقف الناظم الاول الى هذا الزمان ـ قال الشيخ الثاني قدس سره

بايات تونس ان ترم عدالهم ... فالست مع عشراهم (١) اعداد
رمضان اولهم وثان بعده ... مولاه ذو الصيت البعيد مراد
ثم ابنه حمودة باشا الذي ... ايامه بين الورى اعياد
ثم ابنه المبتز للدايات ما ... لهم من الملك الكبير مراد
ثم الثلاثة من بنيه محمد ... وعلي ورمضان (٢) هم الاطواد
ولقد تخلل بين ذلك عمهم ... بمحمد الحفصي الشهير يراد
وكذا ابن شكر صهرهم وعتيقهم ... من حركته لحربها اعضاد
ومراد بن علي الآتي من الـ ... ـأسواء ما فتت به الاكباد
ثم الشريف ابراهم وبه قد انـ ... ـقطعت على من قبله الامداد
ثم استقر حسين بن علي الذي ... لم تعرفي ايامه انكاد
من بعد ذاك علي حسين عمه ... وابن الحسين محمد ويزاد
فيهم علي باي اخوه وبعده ... ابن له من سعده يزداد
حمودة الباشا المعين على الذي ... فيه صلاح للورى وسداد
واخوه عثمان تلاه ودون ار ... بعة الشهور ضمه الالحاد
فاتى ابن عمهما امير زماننا ... محمود مقرونا به الاسعاد
لا زال في حصن الحماية مرشدا ... والخير في ايامه يزداد

هنا انتهى نظم الشيخ محمد بيرم الثاني والابيات التالية هي التي نظمها هذا العبد المتطفل على ابواب الادب .

من بعد محمود حسين نجله ... واخوه ذاك المصطفى المنجاد
ثم ابنه لقب المشير شعاره ... هو احمد والوصف جا حماد

(١) حصر الناظم عددهم في ستة عشر ولكنه اتى في الجملة على ذكر ثمانية عشر بايا صاغ عقدهم في ابيات عددها ستة عشر فليتامل القاري

(٢) هذا رمضان باي هو صاحب البطحاء المنسوبة لاسمه بمدينة تونس وهو لاقبر له حيث قتله حفيده مراد باي الثالث واحرق جثمانه ونسف رماده في اليم ورمضان هذا هو الذي اتم بناء الجامع الذي احدثه اخوه محمد باي جوار زاوية سيدي محرز بن خلف كان ابتداء بنائه في سنة ١١٠٤ وتمامه في سنة ١١٠٩ وتاريخ التمام مرسوم بارقام ذهبية على واجهة المنبر

وهم المتم لعشرهم في بيتهم ... قد كان حصنا حوله الاجناد

ثم الثلاثة من بني عم لـه ... ورثوا العلا والكل هم امجاد

منهم ابـو عبد الالـه محمـد ... وابو الوفـاء الصادق المسعاد

وعلي ابو الحسن الذي به يقتدي ... في فضلـه النسـاك والعبـاد

ثم ابنه الهادي المليك المرتضى ... والناصر اللذ صنعـه الارشـاد

من بعد ذا قام الحبيب المقتفي ... اسلافه الاقبـال ممن بـادوا

ثم العنـاية اقبلت من ربنـا ... نحو البـلاد فعمها الاسعـاد

بولاية المولى الـذي من اجله ... امسى يجـر ذيولـه الامـداد

نعني بـه الباشا ابا العباس احـ ... ـمد نخبـة الامراء ممن سادوا

فالله يحمي ملكـه ويديمـه ... ابـدا وازمـان لـه اعيـاد

ثم الصلاة على النبي والآل والصـ ... ـحب الذين لدينه قد شادوا

هذا وقد اخبرناك فيما تقدم بتقاصر خطة الداي ثم انقراضها في العصر الحسيني وصورة ذلك ان الداي امست خطته في الدولة الحسينية قاصرة على مباشرة النوازل الجارية في الدريبة (١) بولاية من الباي فلما تولى المشير احمد باي وقعت في عهده ولاية الداي كشك محمد (٢) وهو ءاخر الدايات

(١) في الدور الاخير من مدة الدايات غلب عليهم لقب الدولاتلي الذي هو مسمى الداي نفسه ولفظ دولاتلي في اللغة التركية يقابله في الترجمة بالعربية عبارة صاحب الدولة ولكن لا بالمعنى العمومي المتلبس بهذه العبارة في زماننا هذا بل بحصره في ادارة شؤون محكمة الدريبة وهذه قرينة عهد منابل ما زال إسمها موجودا في الانظمة العدلية الحالية بتونس ووجـه تسميتها بدريبة الدولاتلي لانهـا كانت مجاورة لدار الداي وهذه هي دار الطباعة الرسمية العربية في الزمن الحاضر وكان انتصابها هنالك على يدي في سنة ١٣١٩ وكان سقيفها العمومي هـو ساباط الدريبة حيث كان جلوس اعـوان الدولاتلي والخصوم وسجن المكان وكانت وظيفة الداي في ذلك الـدور قاصرة على مباشرة النوازل الجـارية كالسرقات والضرب والجنح تشبه من قريب خطة كميسار البوليس في هذا الزمان واليك ما جاء في حقها بالجزء الرابع من كتاب اتحاف ابناء اهل الزمان عند الكلام على ترجمة الداي احمد ءاغا ونص محل الحاجة : فاعطى الخطة حقها وضبط البلاد وخافه اهل الشر والفساد وتأنس به اهل الخير والعافيه اهـ

(٢) كان قبطانا للبحرية بحلق الوادي وكانت له شهرة بين اهـل زمنه لمـا اظهره في سابق خدمته من الجسارة والاقدام في القرصنة البحرية وهو الذي كان قائدا للاسطول التونسي الذي ارسلـه المرحوم حسين باي لمياه اليونان واحترق في جملة الاساطيل العثمانية في واقعة ناورين المشهورة ولما توفي الداي احمد ءاغا دفين مقبـرة الاشراف الواقعة ببطحاء القصبة وتعرف اليوم بزاويـة سيـدي الشريف وكان ذلك في سنة ١٢٦٨ تقدم كشك محمد لخطة الداي ولكنه لم يقبلها الا على شروط حيث قال للباي عند عرض الخطة عليه حسبما حكاه الشيخ احمد بن ابي الضياف : نمتثل امـرك في كل خدمة ونعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة التي منها ان تقوم الي ولا ءاتيك الا باذن وهو اشدها علي وان يكون الترجمان هـو الرسول بيني وبينك وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص

اعطاه التقليد بسراية المحمدية واطلقت عند ولايته المدافع قياسا على الرسوم المسنونة من قديم ولكنه لقبه في ءان واحد بوزير التنفيذ وبسط له يده فقبلها واقره على فصل النوازل الجارية بالدريبة فباشرها الى حين وفاته في سنة ١٢٧٧ وبموته ماتت خطة الداي بالايالة التونسية

وفي بحر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر اشتهر امر البيت الحسيني بالاقطار القاصية والدانية فكان الملوك الحسينيون يعقدون المعاهدات مباشرة مع دول اروبا بدون وساطة الباب العالي والدول الاروباوية معترفة لهم باستقلاليتهم الداخلية في بلادهم بحيث اصبح لقب الباي في نظر الامم علما على ملوك تونس كلقب سلطان لآل عثمان ولقب خديوي لولاة مصر ولقب شاه لملوك الفرس ولقب خان لامراء التتار الى غير ذلك من الالقاب الخاصة بملوك الاسلام في الشرق والغرب ـ هذا تفسير معنى لقب الباي في الاصلاح السياسي فهو مساو للقب ملك لا لقب بك بالمعنى الشرقي

وهل يتساوى سادة وعبيدهم اذا كان اسماء الجميع موالي

واللقب الثاني لسمو الباي هو لفظ الباشا لا بمعنى الباشوية الممنوحة في بعض الدول بالمشرق والمغرب لاصحاب الوظائف العالية المدنية والعسكرية بل هو لقب متلبس بالصبغة الملكية لانفراد صاحبه به في مملكته واضافته لنعته الاول اي للقب باي نعم ان خطة الباشوية في اصلها كان ياتيهم التقليد بها من الباب العالي ولكن بايات تونس استمروا على التلقب بها في دور استقلالهم عن الدولة العثمانية وقد كنا لعهد قريب نسمع الخطباء في الجوامع عند صلاة الجمعة ينعتون سلطان ءال عثمان « بسلطان البرين وخاقان البحرين مصر والشام والروم والعراقين » مع كون بعض تلك البلاد المذكورة خرجت عن حكم ءال عثمان منذ زمن بعيد وليست هذه الالقاب والنعوت الاسمية من خصوصيات ملوك الاسلام فقط بل هي تتناول ايضا الكثير من ملوك اروبا فان ملك ايطاليا الحالي من جملة القابه السيادة على بلاد سافوايا منشأ اسرته وانت تعلم ان هذه البلاد جزء متمم لخريطة فرنسا وقس عليه ما كان لانبراطور النمسا والمجر وما كان لملوك اسبانيا من الالقاب والنعوت المقتبسة مما كان لاسلافهم من قوة السلطان في القرون الوسطى والتاريخ يعيد نفسه فان بعض الالقاب ينشأ ضئيلا ثم يتعاظم وينمو الى ان يبلغ لقمة المجد وبعضها ينشأ فخيما ثم يتضاءل ويتقاصر الى ان يؤول

كالمسجون الى غير ذلك فان اعفيتني من هذه الامور بان اقدم اليك متى اردت واقبل يدك كسائر وزرائك واقوم معهم بين يديك واتوجه حيث شئت فاني خادمك تضعني فيما تراه والافاني في خدمتي بحلق الوادي شاكرا لله محبوبا من الاعيان فقبل المشير (احمد باي) منه ذلك بسرور واذن له في التوجه حيث شاء بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة لان حراستها في عهدته اه وكان صادق اللهجة محمود السيرة طيب السريرة عزيز النفس عالي الهمة ءاية في النصح والوفاء بالعهد وءاداب المعاشرة وكان مشكور الخدمة موفور الحرمة الى ان ادركه اجله في مدة المشير محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ ودفن جوار القاضي الشيخ احمد بن نفيس بمقبرة السلسلة رحمه الله

للاضمحلال والزوال وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا واللقب الثالث لسمو الباي هو « صاحب المملكة التونسية (١) » وهذا لقب حادث بالنسبة للآخرين واول من اتخذه بالصفة الرسمية بطريقة قارة هو المشير الثاني محمد باشا باي كتبه تلو اسمه مسبوقا بلقب الباشا باي يوم تأسيسه لقانون عهد الامان وقد ختم لائحة هذا القانون بخط يده بما نصه « صح من كاتبه المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية والله على مانقول وكيل » وكان سلفه المشير احمد باي يصدر مناشيره مفتتحة بقوله « من عبد الله الخ المشير احمد باشا باي امير الايالة التونسية » واما البايات الاسبقون فانهم كانوا يختمون مراسيمهم بعبارة « والسلام من الفقير الى ربه الباشا فلان (٢) باي او عبده فلان باشا باي » وكان المرحوم مصطفى باي يمضي احيانا مكاتيبه بقوله « مصطفى ميرميران تونس دار الجهاد » ورتبة (ميرميران) كانت تاتيهم من الباب العالي وبعضهم قلده السلطان رتبة بيلي بك ومعناه باي البايات وممن احرز على هذه الدرجة مفخرة الزمان البـاي حمودة باشا وبالآخر جاءهم لقب المشير من الدولة العثمانية وهو افخم الالقاب في انظمة الجيش العثماني واول من تلقب به من البايات المولى احمد باي الاول ثم المولى محمد باي ثم المولى محمد الصادق باي ولقد وقفت على بعض الاوامر العلية الصادرة اثناء الايام الاولى من ولاية المولى علي باي ختمها كتاب ديوان الانشاء بالوزارة الكبرى بعبارة « والسلام من المشير الرابع عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية » فاعيد النظر فيها والغيت عبارة المشير الرابع حيث لم تكن من النعوت الملكية الوراثية في البيت الحسيني فانت ترى كيف تطورت الالقاب الملكية في العصر الحسيني الى ان بلغت في ابتهاجها وانتهاجها لذروة العظمة والمجد والكمال . كما هو مشاهد للعيان وما بعد العيان بيان .

محمد بن الخوجه

---

(١) رايت في بعض الرسوم العقارية بتاريخ اواسط القرن الماضي ان عدول ذلك العصر كانوا يلقبون باي زمنهم وهو المولى حسين باي الثاني بلقب « صاحب كرسي تونس »

(٢) ننقل هنا وثيقة تاريخية مثبتة لما ذكرنا ونافت نظر القاري الكريم لغرابتها من حيث اعتبار ما ورد فيها من مقدار جراية العلماء في ذلك الزمان ونصها بالنقل عن اصلها

تذكرتنا هذه بيد الفقيه الشيخ حمودة ابن الحاج علي خوجة الحنفي واننا انعمنا عليه بدرس المرحوم سي باكير الامام الذي بجامع المرحوم سي يوسف داي ورجعنا له الثمانية نواصر التي كانت للمرحوم سي باكير من فاضل الاحباس على العادة تجري له من شهر التاريخ بحيث أنه يقري ما شاء والسلام من الفقير الى ربه الباشا علي باي بن حسين باي في اوائل رجب سنة ١١٨٣ اه قلت لا جرم ان عبارة هذه الوثيقة التاريخية الصحيحة مما يحمل الكاتب على مجاراة فقهاء زمانه في تذمرهم من انخفاض مقدار ارزاقهم بالنسبة لغيرهم من اهل عصرهم وان كانت الجرايات العلمية في هذا الزمان اوفر من الجراية الواردة في تلك الوثيقة التاريخية بالآف اضعافها ولكن هذا التذمر سبقني اليه الشاعر بقوله

ورزقهم مرخم منادى كيا سعا فيمن دعا سعادا

العاطفة في الادب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٢ »

صدق العاطفة

اما الصدق فليس من شك انه وليد الفواعل المحركة والاسباب الحافزة. وهو ايضا نتيجة ما يكون من الحاح لمثيرات الاغراء والتحريض. فعلى قدر صحة الداعي وقوة السبب الخارجي وملابسته لنفس الاديب يكون الصدق. وما اكثر ما في الحياة من البواعث والمثيرات والاسباب التي ان لامست الاديب بظاهر او باطن منها تجاوبت اصداء لمسها في حنايا الضلوع واعماق القلوب وقرارات النفوس

فهناك الشاعر مفتون بجمال الربيع فاذا راى الربيع يزور الكون زورته مد اليه البصر خاشعا معجبا مستلهما مستوحيا. وتلقاه بقلبه كما تتلقاه الازهار والاوراق والخمائل والمروج والاعشاب واستقبله فرحا طروبا. فاذا ما نبه الربيع الاطيار فغنت وغردت واحلولى الغناء وطاب التغريد. واذا ما نفح الربيع الفروع والاغصان بنسمات من طيب فوحه وزكاة نشره فانتشت وتمايلت. والتفت وتعانقت. فهناك قلوب الشعراء اكثر يقظة واشد حسا. وارهف عاطفة واندى واعطر من الازهار والاطيار والاغصان. وهم اذا ما ترقصت موجات عواطفهم وتغنوا بجمال الربيع وحسنه ونضارته. تاهت نفسك من اعجابها بقدسية هذا الجمال الفردوسي الذي اصبحت تدركه اكثر من ذي قبل. واصبحت تهواه وتعشقه اكثر من ذي قبل

وهناك الصحراء يرف فوق وهادها ونجودها الآل ويترقص على مدى اطرافها وحواشيها السراب المغري. وهناك الغابة الخرساء يتوجها الجلال. وتتعانق فوق صدرها الناهد الانهار الجارية. والاودية المتفجرة. وتسارع في رحاب احضانها ينابيع الماء ساكنة خاشعة. هناك البحر في حلاوة امنه ومرارة خطره. هناك الحياة في لذاذات نعيمها. وقساوات بؤسها. في مسوح الفقر. واثواب الغناء. في منافعها واضرارها. في الفتها الجامعة وتقاطعها البغيض. في ظلمها وعدلها. في ذل عبوديتها وبذخ سيادتها. هناك الحياة في كل لون من الوانها

ثم هناك المرأة. وانظر الى المرأة كيف شئت فجمالها اظهر جمال في هذا الوجود. لانه جمال حي ناطق يستلهيك ويغريك ويوقظ الحس ويذكي الشعور. وينبه العاطفة ويلهب جوعات النفس الراغبة

ثم هناك الدين والمعتقد. والمثل العليا للخير والسلم. وهناك بعد كل هذا مثيرات اخرى ربما كانت ادنى الى النفوس من غيرها. هناك صدود الحبيب. وموت القريب. وبعد الاصحاب والاخوان. والنزوح عن الاهل والاوطان. ودروس المنازل وذكريات العهود المواضي : وانا لذاكرون مثالا واحدا نكتفي به في تصويرنا لصحة الاسباب وقوة الفواعل المحركة وهذا المثال من شعر ابن الرومي في رثاء ولده. وقد كان موته رزءا عظيما طغت كربته واحاطت بالنفس حسرته فقال يرثيه ويتوجع من آلام حزنه والبكاء عليه :

كان الذي خفت ان يكونا ... انا الى الله راجعونا
امسى المرجى ابو علي ... موسدا في الثرى يمينا
حين انتهى واستوى شبابا ... وحقق الرأي والظنونا
اصبت فيه وكان عندي ... على المصيبات ان يعينا
دافعت الا المنون عنه ... والمرء لا يدفع المنونا
اذا شكا غصة وكربا ... لاحظ او راجع الانينا
يدير في رجعه لسانا ... يمنعه الموت ان يبينا
يشخص طورا بناظريه ... وتارة يطبق الجفونا
تصرف الدهر لي صروفا ... وعاد لي شانه شؤونا
وحز في اللحم بل براه ... واجتث من طلحتي فنونا
اصاب مني صميم قلبي ... وخفت ان يقطع الوتينا
فالمرء رهن بحالتيه ... فشدة مرة ولينا

وما دمنا نتحدث عن صدق العاطفة. فلعله يحسن بنا ان نقف قليلا مستعرضين بعض ما قاله الشعراء والنقاد القدماء. مما له صلة بما نحن بسبيل درسه. فقد سأل عبد الملك بن مروان ارطاة ابن شهيه. اتقول الشعر اليوم ؟ فقال مجيبا والله ما اطرب ولا اغضب ولا اشرب ولا ارغب. وانما يجيء الشعر عند احداهن !

وفي كتاب العمدة لابن رشيق : وقالوا قواعد الشعر اربع ـ الرغبة. والرهبة. والطرب. والغضب ـ فمع الرغبة يكون المدح والشكر. ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف. ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب. ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب.

وحكى الاصمعي عن ابن ابي طرفة كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب. والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب. وعنترة اذا كلب. وايسر ما نستطيع استخلاصه من هذه الاقوال ان بعض النقاد والشعراء كان يدرك بحق ما لقوة السبب من الاثر في تحريض الاديب وارغامه على الانشاد

والتغني بما يختلج في نفسه من المعاني المثيرة لعواطفه ومشاعره. فكأن الاديب المطبوع لا يستطيع الصبر على التغني والانشاد حينما تضطره ملابسة الحوادث وحينما يحس في دخيلته بشيء من آثار الطرب او الغضب او الرغبة او الرهبة. وبرغم من هذا فهل احسن النقاد الاستفادة من جملة هذه الاقوال ؟ وهل توجهوا لدرس العاطفة وتحليلها ذلك ما ساكت عنه الآن

بقي علينا ونحن بهذا الصدد ان الفت انظاركم ايها السادة الى طائفة غير قليلة من الادباء احسبهم مرضى العواطف. وهؤلاء بحق هم الذين ليسوا من الشعراء في شيء ولا من الكتاب في شيء واقوالهم ليست من الشعر في شيء ولا من النثر في شيء . هؤلاء هم الذين افسدوا الادب بانتسابهم اليه . وما كان اغناهم عن هذا الانتساب لولا انهم احسوا بالعجز يساورهم في كل عمل يقبلون عليه . ورأوا ان الاستظلال بدوحة الادب قد يكفيهم مطاردة الحياة . فعاشوا يتبعون جثث الموتى الى المقابر . وعاشوا يزورون المدائح ويحسبونها من غرر القصائد. وهم في هذه وتلك كاذبون ملفقون . وهم في هذه وتلك مبطلون مخادعون . ولولا خداعهم وتزويرهم ما تكلفوا المبالغة والتهويل . ولولا ضعف معانيهم ما استنجدوا ضخامة الالفاظ ولا استعانوا بغريبها النابي عن الذوق والطبع .

هؤلاء مرضى العواطف لانهم لا يقتطعون القول من قلوبهم . ولا يستلهمون وحي قصائدهم من الطبيعة ولا من الحياة . ولا من اسرار النفس في مختلف الوانها . وادبهم ادب زائف مصطنع ان دل على شيء فانما يدل على الطمع المتغلغل في اعماق شهواتهم وغرائزهم . وعلى حبهم للملق والرياء والكذب المزري ... واظهر ميزة في ادب هؤلاء هي ذلكم الطمع العاجز الذي كان يسوقهم دائما الى الاستجداء بالمدائح الفاترة .

واكره الاطالة عليكم في هذا المقام بذكر الامثلة المريضة الفاترة . وحسبي ما قلته الى هنا في تحديد صدق العاطفة . (للبحث بقية)

اربع كلمات صدرت عن اربعة ملوك

كانما رميت عن قوس واحدة

قال كسرى ملك الفرس لم اندم على ما لم اقل وندمت على ما قلت
وقال قيصر ملك الروم انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت
وقال ملك الصين اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها
وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع لم تنفعه
وابلغ من ذلك كله قول النبيء صلى الله عليه وسلم : وهل يكتب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم اه وقال الشاعر العربي :

ولئن ندمت على سكوتي مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا

الاستاذ الشيخ محمد الصادق النيفر

« نسبه » هو الشيخ ابو الوفاء محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر ابن السيد محمود ابن السيد احمد النيفر ، وعنه تتفرع اصول هذه الاسرة كلها ، وهذا السيد شريف الابوين ينتهي نسبه الابوي الى الحسين السبط رضي الله عنه ، واما امه فمن بيت السيد الشريف الصالح الشيخ الحلفاوي الشهير دفين باب الخضراء بحاضرة تونس ، وكان من كبار التجار بسوق العطارين في الحاضرة ووجهائهم الممتازين بمتانة الدين والامانة والصدق والعزوف عن الدنايا .

ولد هذا السيد سنة نيف وتسعين ومائة والف وربي تربية دينية خالصة في حجر ابيه الفاضل الخير السيد ابي الفضل قاسم فحفظ القرآن حفظا جيدا واتخذ تلاوته وردا له من صباه الى شيخوخته وتلقى من العلم الديني جملة صالحة وباشر التجارة بسوق العطارين في سن الفتوة ، وتزوج امراة من بيت الحجام احدى بيوتات الحنفية العتيقة بتونس وفي ذيل بشائر اهل الايمان (١) ترجمة الشيخ محمد الحجام من علماء ومدرسي جامع الزيتونة في القرن الثاني عشر .

وقد انجبت هذه العقيلة ستة ذكور وهم السادة محمد وصالح والصادق ومحمود وحمدة ومحمد (بفتح الميم) .

اما الصادق سمي صاحب الترجمة فقد توفي عن تسع سنين ، واما سائر اشقائه فقد كبروا .

سلك اكبرهم الشيخ محمد وشقيقاه الشيخان صالح ومحمد سبيل العلم فكانوا من اقطاب رجاله واعلام مذهب مالك العاملين النافعين ، وتوفي اولهم بطيبة المنورة في المحرم سنة ١٢٧٧ ودفن ببقيع الغرقد وتوفي ثانيهم في ذي القعدة سنة ١٢٩٠ وثالثهم في المحرم سنة ١٣١٢ وتراجمهم مدونة معروفة

واما السيدان محمود وحمدة فقد يسرهما الله للتجارة الصادقة البارة ولثانيهما شهرة بالولاية لم يزل الصادقون من اهل تونس يتلون آياتها البينة الى اليوم وتوفي السيد محمود سنة ١٢٨٤ وتوفي السيد حمدة مستهل هذا القرن .

واما والدهم فقد توفي بالقاهرة منصرفه من حجته الثالثة بصحبه ولده العلامة الشيخ صالح عاشر صفر سنة ١٢٨١ وصلي عليه بمسجد الحسين ودفن بالقرافة في بستان العلماء جوار الشيخ عبد الله الشرقاوي

وبالسيد محمود يتصل صاحب الترجمة رحمه الله رحمة واسعة

وامه بنت العلامة الطائر الصيت الشيخ محمد الطاهر النيفر قاضي الجماعة المتوفى سنة ١٣١١ وامها من بيت الوزير احدى بيوتات الاندلس العريقة الوجيهة .

« مولده ونشأته الاولى » ولد رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ بدار جده لابيه حيث يسكن والده واعمامه في حومة جامع غربال قرب جامع الزيتونة وتبناه جده لامه الشيخ الطاهر فتولى تربيته بنفسه ، وحفظ القرآن الحكيم تحت اشرافه بضريح الشيخ الصالح انس المجاور لدار الشيخ رحمه الله على المعلم الشيخ محمد الزواري احد شهود المرسى اليوم .

(١) ص ١٨٣ طبع المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٣٢٦

« دخوله جامع الزيتونة وطور الاستفادة » دخل رحمه الله جامع الزيتونة الاعظم سنة ١٣١٣ فأخذ مبادي القراءات والتجويد عن المرحوم المقري الموثق الشيخ المولدي بن عاشور المتوفى في شهر رمضان سنة ١٣٢٥ واخذ سائر الفنون المتداولة به يومئذ عن مشهوري اساتيذه من اعلام المذهبين وكان قوي العارضة صحيح الحافظة وافر العناية فمن اساتيذه فضيلة شيخ الاسلام الحنفي في التاريخ والشيخ ابو العباس احمد ابن مراد المفتي الحنفي والشيخ ابو النجاة سالم بوحاجب كبير اهل الشورى المالكية والشيخ ابو حفص عمر ابن الشيخ المفتي المالكي والشيخ محمد النجار المفتي المالكي والشيخ حسين بن حسين المفتي المالكي والشيخ احمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ مصطفى ابن خليل والشيخ مصطفى رضوان ووالده والشيخ عمر ابن عاشور والشيخ محمد النخلي والشيخ علي الشنوفي ، وكان معظم تحصيله وانتفاعه على الشيخ حسين بن حسين فقد حضر كثيرا من دروسه التي كانت مهبط تحقيق وتدقيق وافادة واختص من بين اترابه بمجالس بيته الخاصة التي لم تكن تقل في النفع والافادة عن دروسه بجامع الزيتونة .

وقد امتلا وطابه بما اخذ عن هؤلاء الاعلام وصار في مقدمة اقرانه على حداثة سنه وتهيأ ان يفيد وينفع بما استفاد ونفع .

« طور الافادة » التدريس والخطابة — تقدم لامتحان شهادة التطويع سنة ١٣١٨ فكان في طليعة المجلين في حلبته وكانت هذه الشهادة تخول صاحبها حق التدريس بجامع الزيتونة بصفة متطوع باثر الحصول عليها ، فشرع رحمه الله يدرس وعني بتنشئة الطبقات وتربيتها وتناول الفنون المختلفة فدرس اكثر كتبها المتداولة بالجامع يومئذ دراسة نصح وتحقيق وبلغت دروسه في اليوم الواحد الستة اوجاوزتها وكانت له عناية خاصة بالفقه والسير والحديث ، ومن اجل ما درسه من كتبها شرح التاودي على التحفة ختمه نحوا من خمس مرات وشرح الدردير وسيدي عبد الباقي على المختصر والشفاء للقاضي عياض بدأه واتمه وشرع مكانه في تدريس الموطا فأقرأ زهاء ربعه ، وشرع في تدريس العارضة شرح سنن الترمذي للقاضي ابي بكر بن العربي فأقرأ جملة صالحة منها بضريح السيد انس وكان يختار تدريس الحديث الشريف في شهر رمضان ويعنى في دروسه بما يفيد العامة من حاضريه وحضر في هذا الطور طور الافادة بعض دروس الجلة من اساتيذه يقتبس من نورهم ويغترف من بحورهم ومنهم الشيخ سالم بوحاجب والشيخ حسين بن حسين وقد اقرا متطوعا ومدرسا رسميا زهاء ربع قرن من سنة ١٣١٨ الى منتصف سنة ١٣٤١ وكانت الطبقات المتتابعة تأخذ عنه واكثرهم يزين اليوم مناصب التدريس والقضاء والفتوى ودواوين العدلية

ولاول العهد بانتصابه للتدريس خطب بجامع باب البحر نائبا عن والده فسلك في الخطابة طريقة مثلى تسفر عن حكمة الشارع فيها واعتمد ما ينشئه من الخطب التي تتفق مع الاحوال الحاضرة ويخاطب فيها الناس بما يفهمون وكان لمواعظه الاثر الصالح وقد يضم الى الخطابة دروسا يلقيها بالجامع في شهر رمضان ينتفع بها العامة والخاصة

« صلته بعلماء المغرب » وفي اثناء اشتغاله بالتدريس دخلت تونس حواشي الشيخ المهدي الوزاني مفتي فاس على شرح التاردي على التحفة ولصاحب الترجمة غرام بتدريس الشرح فعني بهذه الحواشي

واتصل بصاحبها بالمكاتبة ثم زار الشيخ المهدي تونس سنة ١٣٢٣ فنزل ضيفا بدار صاحب الترجمة وزادت الصلة بينهما قوة وكان كل يعرف لصاحبه فضله ومكانه من العلم ثم رغب اليه الشيخ المهدي رحمه الله ان يزور المغرب الاقصى سنة ١٣٣٠ فلبي الدعوة وتعرف بكثير من اهل العلم والفضل وكان محل التجلة والاعجاب ، وكان بينه وبينهم حوار في موضوعات شتى علمية وتاريخية اسفر على قوة عارضته ونهوض حجته وكتب عن هذه الرحلة مفكرات خاصة لم يسبكها على قالب مؤلف مستقل

« المناصب التي تقلدها » ولي رحمه الله خطة الاشهاد بالحاضرة سنة ١٣١٨ وكانت تبعا للحصول على شهادة التطويع . وفي ذي القعدة سنة ١٣٣١ ولي مدرسا من الطبقة الثانية . وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٢ ولي مدرسا من الطبقة الاولى . وفي سنة ١٣٣٩ ولي الامامة والخطابة بجامع باب البحر ورواية الحديث بمدرسة بير الحجار خلفا عن والده . وفي سنة ١٩٤١ تم العزم على تسميته عضوا حاكما بالمجلس المختلط العقاري باحياء الخطة التي كان يتقلدها المرحوم العالم الشيخ محمد المختار شويخه وكانت موقوفة من يوم وفاته سنة ١٣٣٤ واعلمت الحكومة رئيس المجلس المختلط بهذا ووافقها وتعين ميعاد تنصيبه ولكن الحكومة تغير عزمها فقلدته قضاء الجماعة في اليوم الذي عين لتنصيبه بالمجلس المختلط وكان هذا في رجب سنة ١٣٤١ واضطلع رحمه الله بعبء القضاء فقد كان فقيها جليلا واسع الاطلاع على النصوص بصيرا بامر تنزيلها على الحوادث ماضي العزم وظل يباشره نافذ الامر والنهي عزيز الجانب الى ان تخلى عنه في ذي القعدة سنة ١٣٤٧

« مؤلفاته » كتب رحمه الله بضعة تعاليق نفيسة على ابواب من صحيح البخاري قام بها دروسا بمدرسة بير الحجار وجامع باب البحر في مواعيد اختامهما وكان يترك الكتابة في الاكثر ويكتفي بمطالعة ما يعين على فهم الحديث ثم يقوم بذلك كله درسا يفهمه العامة ولا يستغنى عنه أحد من الخاصة وجرى على هذه الطريقة في ايام ولايته للقضاء لتزاحم اعماله عليه ولم يكتب في هذه المدة الا سنة ١٣٤٢ وهي السنة التي عني المقدس المولى محمد الحبيب باشا باي بحضور بعض مجالس اختام الحديث الشريف فيها ، ومنها مجلس ختم الشيخ بجامع باب البحر فكتب تعليقا جليلا محررا على باب كلام الرب مع اهل الجنة من صحيح البخاري ابدع فيه ما شاء الله ان يبدع وفي اواخر سني حياته اقبل على المطالعة والكتابة وزاد شغفه بالحديث وكتبه وترك فيه تقاييد نفيسة جليلة ، وقد كتب في بضعة اعداد من المجلة الزيتونية فصولا في وضع الحديث ولم يتمها وله حاشية على التاودي قيمة

« اخلاقه » كان رحمه الله متواضعا بشوشا وفيا نصوحا ولتلاميذه حب جم فيه غرسه في قلوبهم نصحه لهم واخلاصه في تربيتهم وتعليمهم عزيز النفس قوي العزيمة

« مرضه وموته وموكب جنازته ودفنه » كان رحمه الله مصابا بداء ضعف القلب منذ امد بعيد وكان اثره فيه خفيا ولم تظهر اماراته عليه الا في السنين الاخيرة ، وهو يغالبه بجلده وصبره ، وكان يشعر في ءاخر عمره بدنو الاجل وتصرم حبل الحياة وقد كتب رحمه الله وصية بخطه عهد بتنفيذها الى بنيه واودعها ما يجب ان يكون في غسله وتكفينه وحمله وتشييعه والصلاة عليه ودفنه ولم يخرج في شيء مما اوصى به عن محيط السنة ، ومن مظاهر بر بنيه به بعد موته ان نفذوها كما عهد اليهم وكان موكب جنازته من المواكب النادرة شاركت فيه طبقات الامة كافة ءاسفة حزينة ولا سيما تلاميذه على وفرة عددهم وصلي عليه بالمقبرة طبق وصيته ودفن في تربة سلفه بالجلاز

نسال الله ان يتغمده برحمته ورضاه وان يجعل من بنيه خير معز عنه يبقي ذكره ويعمر بيته ان ربي قريب مجيب

تاجيل شهادة (الاهلية) من الخدمة العسكرية

نص القرار الذي اصدره وزير الحرب في ذلك

على اثر الضجة الكبرى التي وقعت في العام الماضي من تلامذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة ادام الله عمرانه حول شهادة (الاهلية) التي هي الشهادة الاولى التي تعطيها الجامعة الزيتونية ، وطلبهم من الدولة ان تمنح المحرز عليها الاعفاء من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية التي تعطى من المكاتب الدولية والتي يحرز حاملها على المنحة المذكورة ـ وان كان الفرق بين الشهادتين عظيما لان شهادة الجامع ارقى من شهادة المدارس الدولية من حيث الفنون التي تدرس قبل الاحراز عليها ومن حيث اتساع المدارك وسمو الثقافة ـ لم تجب الدولة عن هذا المطلب جوابا مبنيا على تمام المقايسة بين الشهادتين . بل ابقت الفرق ظاهرا بينهما . ذلك انها قررت ان شهادة (الاهلية) يمنح حاملها (التاجيل) لا (الاعفاء) . بمعنى ان من يحرز على شهادة (الاهلية) يؤجل اربعة اعوام ريثما يحرز على شهادة (التحصيل) فان احرز عليها في هاته المدة منح الاعفاء التام . والا فانه يطالب بالخدمة العسكرية . وقد نشرت الجريدة الرسمية قرارا من وزير الحرب يقتضي اجراء العمل بذلك . ورغبة منا في تسجيل هذا الحق وتمكين من عسى ان ينتفع به من الاطلاع على نصه اردنا نشره هنا . واليك هو :

« قـرار »

ان جناب الجنرال هانوت القائد الاعلى للجيوش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية(١) بعد اطلاعه على قانون التجنيد المؤرخ في ٧ فيفري ١٨٦٠ وفي ١٢ جانفي سنة ١٨٩٢ قرر ما ياتي :

الفصل الاول ـ التونسيون المسلمون المحرزون على شهادة الاهلية والمرسمون بجرائد التجنيد تؤجل مناداتهم اربعة اعوام ان ادلوا بما يثبت تقييدهم بالكلية الزيتونية

---

(١) كانت وزارة الحرب قبل نصب الحماية الفرنسوية على المملكة التونسية (بمقتضى معاهدة باردو الواقعة في ١١ ماي ١٨٩١) تسند لرجال من التونسيين مثل وزارة المعارف ووزارة البحرية وممن تولى وزارة الحرب قبل الحماية الوزير مصطفى اغه والوزير محمد خزنه دار واخر من تولاها من التونسيين الوزير سليم الفريك وقد باشرها مدة عام في اول عهد الحماية . ثم بعد ذلك بدلت الارض غير الارض وصارت وزارة الحرب ومثلها وزارة البحر ووزارة الخارجية تسند للفرنسويين . فصار وزير الخارجية هو السفير الفرنسوي بتونس . وصار وزير الحرب هو القائد الاعلى للجيوش التونسية (وكان يلقب بقائد جيش الاحتلال ومن منذ اربعة اعوام ابطل هذا اللقب لما فيه من التذكير بما اقتضت السياسة التلطف بتناسي ذكراه) وصار وزير البحرية هو الاميرال القائد للاسطول الفرنسوي الراسي بثغر بنزرت . وجملة الوزارات التي بتونس ستة . الثلاثة المذكورة بيد الفرنسويين . والثلاثة الاخرى وهي الوزارة الكبرى ووزارة القلم ووزارة العدلية بيد التونسيين ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثاني ـ الطلبة الذين يكونوا (كذا) قد حصلوا عند انقراض (كذا) الاجل المذكور على شهادة التحصيل يطرحون نهائيا من دفاتر التجنيد عملا بالفقرة ١٤ من الفصل ٣٦ من القانون المؤرخ في ١٢ جانفي ١٨٩٢

الفصل الثالث ـ الطلبة الذين لم يمكنهم مدة الاربعة سنوات الاحراز على شهادة التحصيل يقع انخراطهم مع اول حصة ءاتية بعد انتهاء الاجل الممنوح

الفصل الرابع ـ ويقع العمل بهذا القرار من تاريخ غرة جانفي ١٩٢٨

تحريرا في ٢٧ نفامبر ١٩٣٧

الجنرال القائد الاعلى للجيوش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية

الامضاء : هـانوت

هذا ورغما عما اقتضاه هذا القرار بصريح عبارته من ان كل من يكون محرزا على شهادة (الاهلية) وادلى بما يثبت استمراره على مزاولة الدروس بالجامع فانه يمنح (الاعفاء) فقد بلغنا انه قد وقع خلل في تاويله من طرف الادارة الحربية. حيث انها امتنعت من تطبيق هذا القرار على من احرز شهادة (الاهليـة) قبل جانفي ١٩٣٨ تمسكا بالفصل ٤ كما انهـا ارادت جبر من وجبت عليه الخدمة العسكرية في عـام ١٩٣٥ مثلا ثم لم يباشرها لاسباب ماذون فيها كوجود اخ مبـاشر للخدمة العسكرية او لمرض يمنع من الخدمة موقتا الى ان احرز على شهادة (الاهلية) فيما بعد ارادت جبر هؤلاء على مباشرة الخدمة العسكرية الآن رغما عن الادلاء بشهـادة الاهلية بحجة ان مثل هؤلاء لا حق لهم في التمتع بهاته المنحة لان الخدمة وجبت عليهم من قبل

ونحن نلفت نظر جناب مدير الادارة الحربية الى ان هؤلاء جميعـا يشملهم الفصل الاول من فصول القرار المذكور. لان المشترط في الاحراز على منحة الاعفـاء هو التحصيل على شهادة الاهلية بقطع النظر عن ان يكون المحرز عليها اليوم لم يحل اجل خدمته الا هاته السنة او حل اجل خدمته من قبل لكنه اجل لاسباب شرعية. وعليه فجميعهم يستحقون منحـة (التاجيل)

والرجاء ان تحظى ملاحظتنا هاته بالقبول لانها مبنية على نص القرار الصادر من وزير الحرب لا سيما وعدد الافراد الذين سيقع معهم هذا الاشكال قليل جدا. فلا داعي للتشدد معهم. وللتسبب في احداث مشاكل من اليسير تلافيها. على ان الصفة العلمية التي لهؤلاء الافراد من شانها ان تبعث الادارة على التسامح معهم وغض الطرف عنهم وذلك بنوع من التـوسع في فهم ما عسى ان يكون معارضا لما قلناه من فصول القرار المذكور.

محمد المختار بن محمود

وفاة عالمين فاضلين

في ليلة الاحد ٥ حجة الجاري (الموافق ليوم ٦ فيفري) توفي ببلدة حمام الانف العالم الفاضل الشيخ محمد بوراس المدرس المالكي من الطبقة الثانية بجامع الزيتونة بعد مرض شديد الزمه الفراش ما يقرب من عام فتعطل التدريس بالجامع كامل اليوم المذكور حدادا عليه طبق العرف الجاري به العمل في الجامع وقد حمل في مساء ذلك اليوم الى مدينة القيروان حيث دفن هناك رحمه الله برحمته الواسعة ورزق ءاله الكرام جميل الصبر وجزيل الاجر

❁ ❁ ❁

وفي ليلة الثلاثاء ٢٨ حجة الجاري (الموافق ليوم غرة مارس) توفي العلامة الجليل بقية السلف الصالح علما وعملا الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المدرس الحنفي من الطبقة العليا بجامع الزيتونة والمفتي الشرفي عن ثلاثة وثمانين عاما قضاها في العلم والفتوى على مذهب الامام الاعظم والخطابة بجامع القصر . ودفن في مساء اليوم المذكور بمقبرة اسلافه بالجلاز . وقد تعطل التدريس بالجامع ثلاثة ايام حدادا عليه اغدق الله على ضريحه الطاهر سحائب جوده وفضله . ونحن نعزي البيت الخوجي في هذا المصاب العظيم خصوصا عميد البيت امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة وابناءه الكرام واخاه العالم الهمام الشيخ سيدي علي بن الخوجة المفتي الحنفي ونرجو لهم من الله الصبر الجميل والثواب الجزيل